International Historians Association
For Culture, Development and Social Sciences
الاتحاد الدولي للمؤرخين
للتنمية والثقافة والعلوم الاجتماعية

المجلة الدولية
للدراسات التاريخية والاجتماعية

العدد الأول كانون الثاني 2017

رئيس التحرير
الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير
الدكتور عثمان برهومي / تونس

للنشر والتوزيع
الوراق
www.alwaraq-pub.com

ISSN 2249

تطلب المجلة من

مركز الوراق للدراسات والأبحاث:

العنوان :الاردن ، عمان ، شارع الجامعة الأردنية – عمارة العساف – مقابل كلية الزراعة –

هاتف : تلفاكس (0096265337798)–ص.ب (1527) تلاع العلي – عمان (11953) الأردن

الايميل : info@alwaraq-pub.com ، halwaraq@hotmail.com ،

موقع المجلة بقواعد البيانات العالمية:

قاعدة بيانات بوابة الكتاب العلمي : www.thelearnbook.com

السياسات والقواعد والاجراءات

ترحب مجلة المدرسة التاريخية العراقية بنشر البحوث الجيدة والجديدة المبتكرة في اي من الحقول الدراسات التاريخية او العلوم المساعدة ذات العلاقة ويشمل ذلك كل العلوم نظرا لطبيعة التاريخية كعلم يتناول النشاط الانساني كافة مع مراعاة عدم تعارض الاعمال العلمية المقدمة للنشر مع العقائد السماوية، والا تتخذ ايه صفة سياسية والا تتعارض مع الاعراف والاخلاق الحميدة وان تتسم بالجدة والأصالة والموضوعية وتكتب بلغه عربيه سليمه واسلوب واضح. وتعطي الاولوية للدراسات الفكرية التاريخية، التي تساعد على وضع اسس لأطار نظري لمدرسة تاريخية جدي

سياسات النشر

تسعى مجلة المدرسة التاريخية العراقية الى استيعاب روافد كل الافكار والثقافات ذات البعد التاريخي ويسعدها ان تستقبل مساهمات الافاضل ضمن اقسام الدورية البحوث والدراسات عروض الكتب عروض الاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

هيئه التحرير

تعطي الأولوية في النشر والعروض والتقارير حسب الأسبقية الزمنية للورود الى هيئه تحرير المجلة، والاولوية الاخرى للدراسات التاريخية الفكرية، ووفقا لاعتبارات العلمية والفنية التي تراها هيئه التحرير.

تقوم هيئه التحرير بالقراءة الأولية للبحوث العلمية المقدمة للنشر بالمجلة للتأكد من توافر مقومات البحث العلمي وتخضع البحوث والدراسات والمقالات بعد ذلك للتحكيم العلمي والمراجعة اللغوية.

يكتفي بالإجازة من قبل اثنين من اعضاء هيئه التحرير للنشر مراجعات الكتب والاطاريح الجامعية وتقارير اللقاءات العلمية.

يحق لهيئة التحرير اجراء التعديلات الشكلية على المادة المقدمة للنشر لتكن وفق المعيار تنسيق النص في عمودين مع مراعاة توافق حجم ونوع الخط مع نسخه المقال المعياري.

هيئه التحكيم

يعتمد قرار قبول البحوث المقدمة للنشر على توصيه هيئه التحرير والمحكمين حيث تحكيم البحوث تحكيما سريا المراد تحكيمه استمارة تقويم تضم قائمه بالمعايير التي على ضوئها يتم تقويم العمل العلمي.

يستند المحكمون في قراراتهم في تحكيم البحث الى المدى ارتباط البحث بحقل المعرفة والقيمة العلمية لنتائجه ومدى اصاله افكار البحث وموضوعيه ودقه الادبيات المرتبطة بموضوع البحث وشمولها بالإضافة الى سلامه المنهاج العلمي المستخدم في الدراسة ومدى ملاءمة البيانات والنتائج النهائية لفرضيات البحث وسلامه تنظيم اسلوب العرض من حيث صياغة الافكار ولغة البحث وجوده الجداول والاشكال والصور ووضوحها.

البحوث والدراسات التي يقترح المحكمون اجراء تعديلات جذريه عليها تعادل الى اصحابها لأجرائها في موعد اقصاه اسبوعين من تاريخ ارسال التعديلات المقترحة الى المؤلف اما اذا كنت التعديلات طفيفة فتقوم هيئه التحرير بإجرائها.

تبذل هيئه التحرير الجهد الازم لإتمام عمليه التحكيم من متابعه اجراءات التعديل والتحقق من استيفاء التصويبات والتعديلات المطلوبة حتى التوصل الى قرار بشأن كل بحث مقدم من قبل النشر بحيث يتم اختصار الوقت الازم لذلك الى أدني ممكن.

في حاله عدم مناسبه البحث للنشر تقوم الدورية بأخطار الباحث بذلك، اما بالنسبة للبحوث المقبولة والتي اجتازت التحكيم وفق الضوابط العلمية المتعارف عليها واستوفت قواعد وشروط النشر بالمجلة فيمنح كل باحث افاده بقبول بحثه للنشر.

تقوم المجلة بالتدقيق اللغوي للأبحاث المقبولة للنشر وتقوم هيئه التحرير بعد ذلك بمهمه تنسيق البحث ليخرج في الشكل النهائي المتعارف عليه للإصدارات الدولية.

البحوث والدراسات العلمية

تقبل الاعمال العلمية المكتوبة باللغتين العربية والإنجليزية التي لم يسبق نشرها وتقديمها للنشر في مجله الكترونيه او مطبوعة اخرى.

يجب ان يتسم البحث العلمي بالجودة والأصالة في موضوعه ومنهجه وعرضه متوافقا مع عنوانه

التزام الكتاب بالأمانة العلمية في نقل المعلومات واقتباس الافكار وعزوها لأصحابها وتوثيقها بالطرق العلمية المتعارف عليها.

اعتماد الاصول العلمية في اعداد وكتابه البحث من توثيق وهوامش ومصادر ومراجع مع الالتزام بعلاقات الترقيم المتنوعة.

اعطاء مساحة واسعة للتحليل والاستنباط والقراءات الفكرية والتوقعات المستقبلية بالنسبة للموضوعات التي تأخذ بعدا تاريخيا سياسيا.

ارشادات المؤلفين (الاشتراطات الشكلية والمنهجية)

ينبغي الا يزيد حجم البحث على ثلاثين 30 صفحه مع الالتزام بالقواعد المتعارف عليها عالميا بشكل البحوث بحيث يكون المحتوى حسب التسلسل ملخص مقدمه موضوع البحث خاتمه ملاحق الاشكال الجداول الهوامش المراجع .

عنوان البحث

يجب ان لا يتجاوز عنوان البحث عشرين 20 كلمه وان يتناسب مع مضمون البحث ويدل عليه او يتضمن الاستنساخ الرئيسي.

نبذه عن المؤلف والمؤلفين

يقدم مع البحث نبذه عن كل مؤلف في حدود 50 كلمه تبين اخر درجة علمية حصل عليها واسم الجامعة والكلية والقسم التي حصل منها على الدرجة العلمية والسنة والوظيفة الحالية والمؤسسة او الجهة او الجامعة التي يعمل لديها والمجالات الرئيسية لاهتماماته البحثية مع توضيح عنوان المراسلة العنوان البريدي وارقام التليفون الموبايل الجوال والفاكس.

صور شخصية

ترسل صوره واضحة لشخص الكاتب لنشرها مع البحث تستخدم بغرض انشاء صفحه للكاتب في موقع الدورية على شبكه الانترنيت.

ملخص البحث

يجب تقديم ملخص باللغة الانكليزية للبحوث والدراسات باللغة العربية في حدود 100 الى 150 كلمة، اما البحوث والدراسات باللغة الإنجليزية يرفق معها ملخص باللغة العربية في حدود 150 الى 200 كلمة.

الكلمات المفتاحية

الكلمات التي تستخدم للفهرسة لا تتجاوز عشره كلمات يختاره الباحث بما يتواكب مع مضمون البحث وفي حاله عدم ذكرها تقوم هيئه التحرير باختيارها عند فهرسة المقال وادراجه في قواعد البيانات بغرض ظهور البحث اثناء عملية البحث والاسترجاع على شبكه الانترنيت.

مجال البحث

الإشارة الى مجال تخصص البحث المرسل العام والدقيق.

المقدمة

تضمن المقدمة بوضوح دواعي اجراء البحث والهدف وتساؤلات وفرضيات البحث مع ذكر الدراسات السابقة ذات العلاقة.

موضوع البحث

يراعي ان تتم كتابة البحث بلغة عربية سليمه واضحه مركزة، وبأسلوب علمي حيادي وينبغي ان تكون الطرق البحثية والمنهجية المستخدمة واضحه وملائمه لتحقيق الهدف وتتوفر فيها الدقة العلمية مع مراعاه المناقشة والتحليل الموضوعي الهادف في ضوء المعلومات المتوفرة بعيدا عن الحشو تكرار السرد.

الجداول والاشكال

ينبغي ترقيم كل جدول شكل مع ذكر عنوان يدل على فحواه والإشارة اليه في متن البحث على ان يدرج في الملاحق ويمكن وضع الجداول في متن البحث اذا دعت الضرورة الى ذلك.

الصور التوضيحية

في حاله وجود صور تدعم البحث يجب ارسال الصور على البريد الكتروني في ملف منفصل على هيئه (JPEG) حيث ان وضع الصور في ملف الكتابة word يقلل من درجه وضوحها (resolution).

خاتمة او خلاصة

تحتوي على عرض موضوعي للنتائج والتوصيات الناتجة عن محتوى البحث على ان تكون موجزه بشكل واضح ولا تأتي مكرره لما سبق ان تناوله الباحث في اجزاء سابقه من موضوع البحث

الهوامش

يجب ادراج الهوامش في شكل ارقام متسلسله في نهاية البحث، وايضا اعتماد معايير دولية منهجية في الهوامش. ونذكر النماذج المقترحة للهوامش وفق الية دليل شيكاغو.

عروض الكتب

- تنشر المجلة المراجعات التقييمية للكتب العربية والأجنبية حديثه النشر.

- يجب ان يعالج الكتاب احدى القضايا او المجالات التاريخية المتعدة ويشتمل على اضافه علميه جديده.
- يعرض الكتاب ملخصا وافيا لمحتويات الكتاب مع بيان اهم اوجه التميز واوجه القصور وابراز بيانات الكاتب كامله في اول عرض اسم المؤلف المحقق المترجم الطبعة الناشر مكان النشر سنه النشر السلسلة عدد الصفحات .
- الا تزيد عدد الصفحات العرض عن 10 صفحه

عروض الاطاريح الجامعية

- تنشر الدورية عروض الاطاريح الجامعية رسائل الدكتوراه والماجستير التي تم اجازتها بالفعل ويراعي في الموضوعات المعروضة ان تكون حديثه وتمثل اضافة علمية جديدة في احدى حقول الدراسات التاريخية والعلوم ذات العلاقة. وخاصة التي تعالج موضوعات فكرية تاريخية تسهم في وضع اطار نظري لمدرسة تاريخية جديدة.
- ابراز البينات كما وردت في اول العرض اسم الباحث اسم المشرف الكلية الجامعة الدولة سنه الإجازة.
- ان يشمل العرض على مقدمة لبيان اهمية موضوع البحث مع ملخص لمشكلة موضوع البحث وكيفية تحديدها.
- ملخص لمنهج البحث وفروضه وعينته وادواته وخاتمة لاهم ما توصل اليه الباحث من نتائج.
- ولا تزيد عدد الصفحات العرض عن 12 صفحة.

تقارير اللقاءات التعليمية

- ترحب المجلة بنشر التقارير العلمية عن الندوات والمؤتمرات والحلقات النقاشية سينمار الحديثة الانعقاد في دول الوطن العربي والتي تتصل موضوعاتها بالدراسات التاريخية.
- يشترط ان يغطي التقرير فعاليات اللقاء نوه مؤتمر ورشه عمل سينمار مركزا على الابحاث العلمية واوراق العمل المقدمة ونتائجها واهم التوصيات التي يتوصل اليها اللقاء.
- لا تزيد عد صفحات التقرير عن 6 صفحات.

قواعد عامة

ترسل كافه الاعمال المطلوبة للنشر بصيغه برنامج مايكروسوفت وورد , microsof tword ولا يلتفت الى اي صيغ اخرى .

المساهمون للمرة الاولى من اعضاء هيئه التدريس بالجامعات يرسلون اعمالهم مصحوبة بسيرهم الذاتية العلمية أحدث نموذج مع صورة شخصية واضحة.

ترتيب الابحاث عند نشرها في المجلة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بمكانة الباحث او قيمة البحث.

حقوق المؤلف

- المؤلف مسئول مسئوليه كامله عما يقدمه للنشر بالمجلة وعن توفر الأمانة العلمية به سواء لموضوعه او لمحتواه ولكل ما يرد بنصه وفي الاشارة الى المراجع ومصادر المعلومات.
- جميع الآراء والافكار والمعلومات الواردة بالبحث تعبر عن راي أحد غيره وليس للمجلة او هيئة التحرير ايه مسئوليه في ذلك.
- ترسل المجلة لكل صاحب بحث اجيز للنشر نسخه من ذلك العدد المنشور به البحث ومستله من البحث على البريد الكتروني.
- يحق للكاتب اعاده نشر البحث بصوره ورقيه او الكترونيه بعد نشره في المجلة دون الرجوع لهيئة التحرير ويحق للمجلة اعاده نشر المقالات والبحوث بصوره ورقية لغايات غير ربحية دون الرجوع للكاتب.
- يحق للمجلة اعاده نشر البحث المقبول منفصلا او ضمن مجموعه من المساهمات العلمية الاخرى بلغتها الأصلية او مترجمة الى ايه لغة اخرى وذلك بصوره الكترونيه او ورقية لغايات غير ربحيه.
- لا تدفع المجلة ايه مكافئات ماليه عما تقبله للنشر فيها ويعد ما ينشر فيها اسهاما معنويا من الكتاب في اثراء المحتوى الرقمي العربي.

الاصدارات والتوزيع

- تصدر مجلة المدرسة التاريخية العراقية اربع مرات في السنة مارس يونيو سبتمبر ديسمبر.
- المجلة المتاحة للقراءة والتحميل عبر موقعها الالكتروني على شبكه الانترنيت.
- ترسل الاعداد الجديدة الى كتاب المجلة على بريدهم الالكتروني الخاص.
- يتم الاعلان عن صدور الدورية عبر المواقع المتخصصة والمجموعات البريدية والشبكات الاجتماعية.

المراسلات

ترسل الاعمال المطلوبة للنشر الى رئيس التحرير

historical.magazine2015@ gmail.com

هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية

رئيس التحرير

الاستاذ الدكتور ابراهيم سعيد البيضاني

نائب رئيس التحرير

الدكتور عثمان برهومي/ تونس

سكرتيرة التحرير

الدكتورة وفاء سمير نعيم / اجتماع / مصر

الهيئة العلمية

• الاستاذ الدكتور صباح رميض	تاريخ	جامعة بغداد
• الاستاذ الدكتور علاء الرهيمي	تاريخ	جامعة الكوفة
• الاستاذ الدكتور ناهدة حسين علي الاسدي	تاريخ	الجامعة المستنصرية
• الاستاذ الدكتور حسن خضيري احمد	تاريخ	مصر
• الدكتور الدكتور لحسن أوري	تاريخ	المغرب
• الاستاذ الدكتور ميلاد مفتاح الحراثي	علوم سياسية	ليبيا
• الاستاذ الدكتور عثمان البرهومي	جامعة صفاقس	تونس
• الاستاذ الدكتور حاجي دوران	اجتماع	تركيا
• الدكتور سليم الهناني	تاريخ	سلطنة عمان
• الاستاذ المحاضر الدكتور نورالدين ثنيو	تاريخ	الجزائر
• الدكتور عبد المومن بن صغير	قانون	الجزائر

محتويات
العدد الأول

الموضوع	الصفحة
السياسات والقواعد والاجراءات	5
هيئة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية	11
البحوث	
قراءات في المدارس الفكرية التاريخية، نحو مدرسة عراقية تاريخية أ. د. ابراهيم سعيد البيضاني	15
المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814-1818 "مؤتمر إكس لاشابيل Aix _La chapelle 1818" أنموذجاً جخدان بوعبدالله	31
اعراف القبائل في التحكم وفض النزاعات والخصومات في المغرب أ. د. جنان عبدالجليل هموندي أ. د. ناهده حسين علي الاسدي	43
تطور الفكر الاداري والاقتصادي في الادارة المحلية لكربلاء أ.د. حسن علي سبتي الفتلاوي	53
الهويات الفرعية وازمة الهوية الوطنية العراقية أ. د. عمار فاضل حمزة	69
المقالات	
استراتيجية التاريخ واشكاليات المجتمع المعاصر أ. د. صباح مهدي رميض	91
الجذور التاريخية لليوم الدولي للاختفاء القصري د. محمد عبدالرحمن عريف	93

الموضوع	الصفحة
الجمهوريّة في تونس من الجذور إلى الإعلان نضال لبيض	95
تاريخ المغرب القديم وإشكالية بداية العصر التاريخي د. عبد اللطيف الركيك	105
ظاهرت انكماش القيادات الإنسانية من المجتمع ادى الى انتكاسة ادارية وانتاجية د. علي عبدالراضي	109

قراءات في المدارس الفكرية التاريخية
نحو مدرسة عراقية تاريخية

أ. د. ابراهيم سعيد البيضاني

هذه الورقة البحثية العلمية المتواضعة ليس ترف فكري او نشاط اعتيادي ، بل هو مشروع او بداية مشروع لتأسيس مدرسة تاريخية عراقية ، اذ انه في الوقت الذي يمتلك فيه العراق ارثا حضاريا وتاريخيا وقاعدة واسعة من المؤرخين في التاريخ الاسلامي والفكر الاسلامي ، نحن نتخبط هنا وهناك وليست لنا قواعد وسلوكيات وفكر تاريخي ، فضلا عن ان ما مر بنا من مخاطر وتحديات لعله يستفزنا ويحفزنا للتفكير والتساؤل هل ان دراسة التاريخ كانت سببا وراء ذلك الاخفاق ، وهل ان دراسة التاريخ تشكل قاعدة للتفكير والانطلاق بمشروع حضاري لمواجهة المخاطر .

لذلك فاني قبل ان اشرع بالحديث عن طبيعة وشكل الاسس التي تنطلق منها لتأسيس مدرسة عراقية لابد من تقديم قراءة لاهم المدارس الفكرية التاريخية العالمية ، واعتقد ان من المناسب عدم التشعب بالبحث ، وسأبدأ من القرن التاسع عشر ، وابدا من الاخير ، حتى اتمكن من مسك خيوط البحث ورسم التصورات المناسبة .

يوصف القرن الثامن عشر بانه عصر التنوير ، ويدور التفكير فيه حول الانسان ، وسادت فيه فلسفة عقلية تجريبية اهتمت بالرياضة والفلك والطبيعة والكيمياء والتاريخ الطبيعي والجغرافية والطب ، وهي فلسفة تؤمن بالتقدم وتسعى الى التجديد ، وكانت ردة فعل على سيطرة الكنيسة التي قتلت ومنعت روح الاجتهاد ورسخت فكرة عجز العقل البشري وضعف الارادة الانسانية ، وان الانسان بحاجة الى عقل اسمى من عقله وارادة اقوى من ارادته وهي العقل الالهي والارادة الالهية ، وفي القرن الثامن عشر اهتم بدراسة التاريخ على اسس من النقد والتحليل ، وظهرت حركة التنوير عند فولتير مثلا 1694-1778 بهدف انهاء العصر الديني في تاريخ البشرية ، وان فلسفة التاريخ لم تظهر بصورة واضحة الا في القرن الثامن عشر على يد فيكو ، اذ كان القرن الثامن عشر بداية التفكير الحر.[1]

(1) عطيات محمد ابو السعود ، فلسفة التاريخ عند جامبا تيستا فيكو ، دار التنوير للطباعة وانشر والتوزيع ، (بيروت 2006) ، ص/ 20.

منذ عام 1840 شرع لفيف من الاقتصاديين الالمان بجمع الوثائق والوقائع المتعلقة بالظواهر الاقتصادية ، ويؤكدون ان اي مذهب اجتماعي سيكون عديم الجدوى ما لم يستند الى دراسة لتطور الوثائق الاقتصادية ، وبالتالي فان هذه المدرسة اهتمت بالوقائع ومراقبتها بهدف الوصول الى معرفة البيانات المختفة للنظم الاقتصادية ، واكد فريدريك ليست 1789-1846 على الاقتصاد القوي ، وايد الحماية التجارية ، وانتقد مبادئ التجارة الحرة ، وجرى وفق لفريدريك ليست فقد صنف درجات التقدم من مجتمعات القنص الى الصيد والرعي والزراعة والصناعة وبعدها الزراعة والصناعة والتجارة .[1]

المدرسة الفكرية التاريخية العراقية (العربية) لابد ان تأخذ بما دعي اليه شمولر احد ابرز رواد المدرسة التاريخية الالمانية الثانية الذي اكد ان الاستنتاج والاستقراء هما ركني البحث العلمي ، فضلا عن ان (فريدريك ليست) من رواد المدرسة التاريخية الالمانية الاولى انطلق من سياسة اقتصادية لتطوير بلاده ، فان المؤرخ والمثقف العراقي عليه ان يحدد اولوياته ، واعتقد ان المشكلة تكمن في النظام السياسي .وعلى الرغم من ان مولر وريموند كانوا من السابقين من الكتاب في الاقتصاد القومي ، الا ان فريدريك ليست يعد مومنا بهذا الاتجاه ، وقد الف كتابا في سنة 1840 بعنوان النظام الاقتصادي للاقتصاد السياسي ، اكد فيه على الاهتمام بالصناعة الوطنية وانتقد اراء اصحاب التجارة الحرة لادم سمث .[2]

فالمدرسة الوضعية ظهرت في ظل الحركات القومية التي شهدتها أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وخاصة في إطار الجمهورية الفرنسية الثالثة وعزمها على استعادة منطقة الألزاس واللورين وتدعيم برنامجها الاستعماري. لقد أفصح رائد المدرسة الوضعية بفرنسا **المؤرخ مونود في البيان الذي نشره في 1876 بمناسبة صدور العدد الأول من "المجلة التاريخية"** عن مبادئ المدرسة والتي تؤكد على فرض بحث علمي في التاريخ بعيد عن كل المزايدات الفلسفية ، وبلوغ الموضوعية المطلقة في مجال التاريخ ، وتطبيق تقنيات صارمة في جرد الوثائق ونقدها .

(1) طارق يوسف العزاوي، تاريخ المجتمعات ومدارس الفكر الاقتصادي، دار البرهان، ط/ 1، (بغداد 2014)، ص/ 14 .

(2) المصدر نفسه، ص/ 204 .

أن دراسة التاريخ تتم فقط بالاعتماد على الوثائق الرسمية المكتوبة، وبالتركيز على الوقائع وتحقيقها، فمهمة المؤرخ الرئيسية هي تجميع الوثائق وصيانتها وحفظها في دور الأرشيف، فالمؤرخين الوضعانيين مجدوا العمل حول الوثائق .

واهتم المؤرخ الوضعاني بتحقيق تاريخ كتابة الوثيقة، ومكان كتابتها وطبيعتها، ومدى موضوعيتها وصدق معلوماتها ،ويقوم المؤرخ بتحليل محتوى الوثيقة، ونقدها نقدا إيجابيا، فضلا عن ذلك حاولت المدرسة الوضعية البحث عن القوانين التي تتحكم في تطور الجنس البشري.

وان سمات الكتابة التاريخية الوضعية الاهتمام بالحدث والواقعة السياسية العسكرية والإدارية والدبلوماسية، الاهتمام بالأحداث المنفردة المعزولة وذات التأثير القصير، والاعتماد على التفسير البسيط لسلوك الأفراد مهما كانوا ملوكا أو زعماء أو قادة، فضلا عن استعمال السرد البسيط المتمثل في الرواية التي تغلب عليها الصبغة الدينية والأدبية، والتركيز على الشخصيات البارزة واللامعة. والاستعمال المحدود للوثيقة واختزالها في الوثائق الرسمية والمكتوبة.

لذلك فاني انبه الى عدد من النقاط المهمة من هذه المدرسة، اذ ان هناك حاجة سياسية قومية فرنسية على اثر هزيمة فرنسا امام بروسيا، فوجدوا ان الخلل في دراسة التاريخ، وثانيا هناك رواد للمدرسة الوضعية (مونود)، فضلا عن سمات في طريقة التفكير والبحث وهناك مجلة (المجلة التاريخية).

المدرسة التاريخية الاخرى التي يمكن الاستفادة من اتجاهاتها وافكارها، هي **مدرسة الحوليات الفرنسية** التي من ابرز روادها (لوسيا فيفر) و (مارك بلوخ) و(فرناند بروديل)، اذ ان ابرز اتجاهات الدراسات التاريخية في مدرسة الحوليات في بداية النصف الاول من القرن العشرين هو انفتاح الدراسات التاريخية على العلوم الاخرى ، واخذت ابعادا سيوسيولوجية ولسانية وجغرافية وديمغرافية ، وتحول التاريخ الى دراسة كل ما له علاقة بالإنسان، وتجاوز التاريخ السردي الى دراسة البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فدراسة التاريخ لا تقتصر على دراسة الماضي وتحول اهتمام المؤرخين من دراسة الخاص الى دراسة العام ، ومن دراسة الجزء الى دراسة الكل ومن الاهتمام بالفرد الى دراسة المجتمع، وهذا يتطلب اعتماد اسلوب التفكير القائم على التحليل الملموس للوقائع ودراسة البنى الاقتصادية والاجتماعية والثقافية الراهنة .

هناك ثلاثة مظاهر تعد علامات بارزة لوصف اي حقل معرفي ، اولهما تأكيد علمية حقول المعرفة تتخطى عتبة التبسيط الجامعي، والمظهر الثاني هو ان التجديد الذي يشمل العلوم التقليدية

او يخوض في مستوى اشكاليات البحث او على مستوى التعليم، وثالثهما يتمثل في تداخل الاختصاصات وظهور علوم مركبة تجمع بين علمين في التسمية مثل التاريخ الاجتماعي او الديمقراطية التاريخية او الأنثروبولوجيا التاريخية. فضلا عن ذلك يحتل التاريخ موقعا متميزا في هذا الحقل المتجدد للعلوم، وهناك تاريخ جديد كان اول رواده هنري بار الذي استخدم هذا المصطلح عام 1930 ، فقد اصبح التاريخ الجديد يتميز بخاصيتين الاولى في تجدده الكامل والثانية في تجذره في صلب تقاليد قديمة صلبة ، ومن رواده ايضا لوسيان فافر ومارك بلوخ وفرناد بروديل .[1]

ووفقا لمدرسة الحوليات الفرنسية لابد ان يكون التاريخ شموليا وكليا ، ويطالب بتغيير جذري في مجالاته ، فضلا عن انه يهتم بكل ما هو خاص بالمجتمع ،[2] وفي الوقت الذي نؤكد حاجة الاطار النظري للمدرسة العراقية الجديدة تحتاج الى اعادة مناهج قراءة ودراسة التاريخ في المدارس الاولية والثانوية ، فضلا عن تقديم قراءات ومحاور واليات مختلفة جديدة في تدريس التاريخ في الجامعات ، فان من المناسب ايلاء اهمية للدراسات العليا والبحث في موضوعات واثارة تحديات واشكاليات تاريخية يمكن الاجابة عنها من خلال الرسائل والاطاريح الجامعية .

وفي قراءة ومتابعة لكتاب مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ .. ومحاولة للتأصيل في الفهم العراقي ، وقفت على عدد من المؤشرات في الاستفادة من تجربة الفرنسيين في كتابة التاريخ وفي توظيفه والاستفادة من دروسه ، وقد توقف الباحث عند عدد من الامثلة على ذلك ، اذ على اثر حرب المائة عام 1337-1453 مع انكلترا ، كانت تجربة جان دارك في استحضار روح الامة الفرنسية ، فضلا عن ان هزيمة الفرنسيين في حرب السبعين (1870) مع المانيا ، دفع المؤرخين الفرنسيين في البحث في اسباب الهزيمة، وهم يعتقدون ان سبب هزيمة فرنسا لا تعود فقط الى اخطاء السياسيين والعسكرين، بل تعود ايضا الى مناهج تدريس التاريخ والجغرافية في الجامعات، واذا ما اخذنا بنظر الاعتبار ان دراسة التاريخ في كل من فرنسا والعراق لها اهمية استثنائية وهما يميلان للتاريخ بشدة ويتعاطون معه، وبالتالي فان الاستفادة ممكنة من التجارب الفرنسية في مجالات وضع

(1) جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة محمد الطاهر المنصوري، (بيروت المنظمة العربية للترجمة، 2007) ،76-77.

(2) ال محمود عبدالواحد محمود، مدرسة الحوليات الفرنسية وتجديد كتابة التاريخ: محاولة للتأصيل في الفهم العراقي، (بغداد، دار ومكتبة عدنان 2013) 17-25.مصدر نفسه،81.

الاطار النظري للمدارس الفكرية التاريخية، وعلى الرغم من كل الجهود والمحاولات للمؤرخين العراقيين، الا انه لا توجد مدرسة تاريخية عراقية. وهذا بالتأكيد يحفزنا للتفكير في صياغة الاطار النظري لمدرسة فكرية تاريخية عراقية وعربية، وما يعطينا مبرر لذلك هو ان التاريخ سلاح مهم يؤثر على النخبة العراقية ن زيادة على ان الصدمة التي نعيشها اليوم في العراق ، ويعيشها كل العرب تكون مدعاة للاهتمام والتفكير بان نبحث من بين الحلول في اسباب الفشل والتردي من خلال دراسة التاريخ .

ومن مدرسة الحوليات الفرنسية فنحن ملزمين بالوقوف امام عدد من الدروس والعبر، فالتحدي الذي نعيشه واهمية دور التاريخ في حياتنا، واهمية منهج ودراسة التاريخ، زيادة على اهمية ودور النخبة من المؤرخين الذين يمكن ان يتصدوا لفكرة مدرسة تاريخية جديدة، وتوفير الادوات التي تسهم في وضع الاطار النظري، من مجلات وكتب وقراءات جديدة ومناهج بحث جديدة .

في مدرسة التقنيات يعتمد الفكر التاريخي الامريكي على نظرية تؤكد ان التقنيات هي التي تحرك التاريخ في القرن الحادي والعشرين، ويعتقدون ان هذه التقنيات هي التي لعبت دورا محركا في الثورة المصرية، كما كانت محركا لتطور الاحداث التاريخية منذ العصور القديمة، فهي تسهم في صناعة التاريخ وتدفع الى حركته، وان أي تقنية جديدة تفرض تغييرا في حركة الناس وحركة السلطة، فهناك عصر الطباعة وعصر الصناعة وعصر القطارات وعصر الآلات البخارية وعصر الطاقة الذرية وعصر المعلوماتية، واصبحت الصورة مؤثرة كما كانت الوثيقة، وان التطور الرقمي والنقل الحي المباشر للأحداث اصبح حالة مؤثرة في الراي العام وخلق التوجهات، وما يؤكد ذلك ان التكنولوجيا هي التي جعلت الولايات المتحدة تحسم الصراع لصالحها .

ويستدل اصحاب هذا الراي على ان التقنيات الحديثة لعبت دورا في نجاح الثورة المصرية ، وان التقنيات كانت محرك لتطور الاحداث التاريخية منذ العصور القديمة .

في حين ان **مدرسة الاستشراق الامريكية** التي تعد امتداد لمدرسة الاستشراق البريطانية والتي بدأت عمليا بعد الحرب العالمية الثانية، فأنها ارتبطت مع المكانة الدولية للولايات المتحدة التي حلت محل بريطانيا ، لذلك فان الولايات المتحدة رات نفسها بحاجة الى متخصصين في شؤون الشرق الاوسط، وانها بحاجة الى افتتاح اقسام للدراسات العربية الاسلامية ومراكز الدراسات العربية والاسلامية، واهتمت هذه المدرسة بالأحوال الاقتصادية والسياسية للشرق واهتمت بالدراسات

التاريخية الحديثة والمعاصرة ، مع اعطاء اولوية واهتمام بالدراسات الاجتماعية ، والتركيز على خدمة اهداف الامن القومي الامريكي وحماية اسرائيل وخدمة اهداف الحركة الصهيونية .

ومن **مدرسة شيكاغو التاريخية** نقف عند المؤرخ وليم ماكنيل الذي ينتمي الى مدرسة شيكاغو التاريخية وهو مؤلف كتاب صعود الغرب : تاريخ المجتمع البشري ، الذي صدر عام 1964 ، درس فيه التاريخ الكوني، وكيف تكون العالم الراهن ، وانه في سياق حديثه عن الاسلام وانتشاره والحديث عن الحضارة الاسلامية وعوامل ازدهارها ، فانه توقف عند عامل كان وراء ضعف وجمود المجتمع الاسلامي، وكان يرى ان مرد ذلك يعود الى الصراع السني الشيعي ، ويقصد الصراع بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية ، وبالتالي فانه وضع يده على مسالة مهمة نعيشها اليوم في اطار البلد الواحد ، وحجم تأثير الصراع الطائفي على مستقبل العراق ، فضلا عن الصراع الاقليمي الذي يأخذ هوية طائفية ، فالتنافس التركي الايراني والتنافس السعودي الايراني ، والتنافس المصري الايراني والصراعات والخلافات السعودية العراقية ، فأنها ان كانت وراء الجمود والتخلف في وقت سابق ، فأنها ستكون عاملا اساسيا وراء السقوط النهائي والانهيار.

اسس انطلاق المدرسة التاريخية العراقية

لذلك وانطلاقا من هذه القراءات للمدارس التاريخية العالمية، نقول ان هناك عوامل مشتركة وعناصر اساسية لاي تفكير نحو اقامة مدرسة او قراءة تاريخية جديدة او وضع اطار نظري ، فالعامل الاول يتمثل في وجود تحدي خطير يحفز ويعطي مبرر ويؤكد ضرورة التفكير بطريقة جديدة، اذ ان ظهور المدارس التاريخية كان نتيجة او استجابة لحاجات بناء الدول والتحديات التي تواجهها، مثلما ظهرت المدرسة الوضعية التي كانت استجابة للحركات القومية وفي ظل الجمهورية الفرنسية الثالثة، والمدارس الفكرية الامريكية وخاصة مدرسة الاستشراق الامريكية جاءت استجابة لمكانة الولايات المتحدة الدولية، لذلك فنحن في العراق والوطن العربي لابد ان تكون الاحداث التي عاشتها الامة العربية والتي عاشها العراق منذ ما اطلق علية ربيع الثورات العربية وطيلة مرحلة التحول الخطيرة تشكل التحدي الاكبر الذي يدفع المؤرخين للتفكير في اطار نظري وفكري يحدد اتجاهاتنا وحاجاتنا ، ولعل العراقي الذي عاش تحدي الارهاب والقاعدة وداعش الذي تصاعد بشكل خطير عام 2014 ليشكل اطارا لانطلاقة فكرية متطورة. فضلا عن ان التراجع الذي اصاب بلداننا ، وفي الوقت الذي تعيش فيه الدول الاوربية والامريكية والدول المتقدمة تطورا هائلا في ميادين المعرفة والادارة

والاستقرار، نعيش نحن في ازمات الفقر والعوز والفساد والتردي، وهذا لوحده يشكل التحدي الاكبر.

والعامل الثاني المشترك من دراسة التجارب العالمية الفكرية والذي يشكل منطلقا في وضع اطار نظري لمدرسة عراقية تاريخية انه لابد ان يكون هناك عدد من المؤرخين المتصدين والمبادرين للتفكير بذلك ، فان المدارس الفكرية التاريخية العالمية لها روادها ومفكريها. وبالتالي لابد من رواد ومتصدين . **والعامل الثالث هو** امتلاك ادوات العمل والتفكير ، من خلال اصدار مجلات تاريخية واصدارات وتأليف كتب تعني بهذا الفكر وهذه التوجهات الجديدة ، وبالتالي نكون قادرين على الانطلاق نحو صياغة هوية او مفاهيم لهذه المدرسة بناء الى حاجتنا ، وضع وصياغة الاطار النظري .

لذلك فان المنطلق الاول الذي نبدأ فيه كمؤرخين عراقيين لتأسيس المدرسة التاريخية العراقية يتطلب دراسة علمية دقيقة للمدارس التاريخية الفكرية العالمية والاستفادة من اتجاهاتها وتجاربها وطريقة تفكيرها ، من خلال ذلك نقدم رؤيا وقراءة لما نريد وكيف نفكر.

فضلا عن ذلك فان الانطلاق نحو مدرسة تاريخية عراقية يتطلب دراسة علمية واقعية جريئة لتاريخ العراق والوطن العربي خلال المائة عام الماضية التي تشكلت فيها الدول العربية الحديثة والوقوف على اهم المحركات للواقع العراقي والعربي ، وتشخيص عوامل الضعف التي كانت وراء الفشل من خلال تقييم موضوعي جرئ وعلمي .

يمكن ان نؤسس انطلاقا من هذه الرؤية مدرسة تحليلية فكرية تعالج الصراعات الطائفية السنية الشيعية الاقليمية الجديدة التي ظهرت في مطلع الالفية الثالثة ، ونحتاج الى وصف دقيق وموضوعي لطبيعة الصراع وانعكاساته ، والبحث عن اليات للتوافق والمصالح المشتركة . فالمؤرخ العراقي عليه كتابة تاريخه الحاضر ليبني للاجيال المستقبلية حياة جديدة تحقق لهم الوحدة والانسجام والهوية والمصلحة المشتركة .

والاطار النظري للمدرسة التاريخية الجديدة ينطلق من **اعتماد التحليل** الدقيق للواقع واعتماد دراسات شمولية تغطي وتقرا مرحلة تاريخية ذات بعد واسع ، وعلى المؤرخ العراقي او العربي ان يحدد لنفسه دور ومشاركة واداء ايجابي لخدمة مجتمعة، ويبحث عن اليات لتطور واقع امته ان يطلق العنان لعقله في التفكير والاستنتاج واستخلاص الدروس والعبر من دراساته التاريخية ، ويفسر الاحداث والاسباب ويحدد الثغرات ونقاط الضعف واسباب تدهور امته .والتخلي عن بعض الاليات الشكلية المنهجية في البحث التاريخي واعطاء فسحة من البحث للحوار **واستنباط الاحكام** ،

اذ ان المؤرخ الذي وصل الى درجة علمية تؤهله لإعطاء الراي والاستنباط مطالب بان يخوض في ذلك. بل يمكن القول ان التحليل على الرغم من اهميته اصبح لوحده لا يحقق النتائج المطلوبة ، اذ لابد من استقرار من استقراء المستقبل والتنبؤ بحركة المجتمع وحركة الحياة ، ووضع السيناريوهات المناسبة للأحداث والتحديات المتوقعة ، فضلا عن ذلك نحن بحاجة الى ذكاء تحليلي ولقواعد سلوكية، وتعد التربية مرتكز للبحث التاريخي تحتاج الى اجواء اخلاقية .[1]

ان الكتابة التاريخية تضع في الحسبان ان الحقائق المكتوبة ليست هي كل الحقائق النهائية ، لان هناك ما هو دفين ، تمنع ظهوره عوامل واعتبارات مختلفة ، لذلك فان من واجب المؤرخ البحث والتقصي والوصول الى المخفي من التاريخ من خلال الاستقصاء والتحليل والاستدلال.[2]

نحن مطالبون الخوض في تقديم قراءات استشرافية للمستقبل ، وان اول ما تفتضيه البحوث الاستشرافية وجود نظرية شمولية قادرة على دراسة وفهم الماضي وتفسير حركته ، وان تكون النظرية ذات بعدا ايديولوجيا ، فضلا عن اهمية توفر دراسات علمية حول الواقع ونشوئه وتطوره التاريخي، زيادة على ضرورة وجود نماذج ممكنة تلائم الواقع ومتصلة بمواقفه .[3]

واذا اردنا ان نثور او ننتفض على اي قيم وتقاليد واطار نظري فكري تاريخي ،هل نحن نعمل وفق منهج محدد، ام اننا نسعى لتأسيس منهج ، فالتاريخ الجديد نشا في اطار ثورة على التاريخ الوصفي الذي ساد خلال القرن التاسع عشر ، وفيه يجب ان يكون هناك تصور جديد للوثيقة ونقدها ، وبالتالي فقد توفرت قاعدة منهجية واليات جامعية .[4] واعتقد ان الوثيقة ستحتفظ بأهميتها العلمية في المدرسة التاريخية الجديدة ، اذ لم تستغن عنها المدرسة الوضعية او مدرسة الحوليات الفرنسية ، وفي دراساتنا الحديثة والمعاصرة لا تزال الوثيقة تشكل اهمية كبيرة في البحث

(1) هربرت شنيدر ، تاريخ الفلسفة الامريكية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، مكتبة النهضة المصرية ، (القاهرة 1964)، 407.

(2) باسم سلمان محمود ، الكتابة التاريخية في القرن السادس الهجري في بغداد ، دار الكتب العلمية، (بغداد 2013) ، 68.

(3) عبدالباسط عبدالمعطي ، البحث الاجتماعي ، محاولة نمو رؤية نقدية لمنهجه وابعاده ، دار المعرفة الجامعية 1985، 132.

(4) جاك لوغوف ، المصدر السابق ، التاريخ الجديد ،81.

التاريخي ، اذ اخذت الوثائق الامريكية والبريطانية فضلا عن الوثيقة المحلية مساحة كبيرة من الاهتمام في الدراسات التاريخية ، وبالتالي فنحن امام اهتمام اكبر في التدقيق والتمحيص والتحليل للوثائق ، بل لابد من الخوض في قراءة تفكير ودوافع صانع هذه الوثيقة وصاحب القرار الذي وراءها ، فضلا عن اهمية تصنيف وحفظ وارشفة الوثائق المحلية، لما لها من اهمية في دراسة الوقائع .

والحاجة تدعو الى امكانيات وقدرات عالية في تشخيص المشكلات والمحركات الرئيسية للواقع العراقي والعربي ، اذ ان التشخيص العلمي الدقيق يكون مفتاحا لكل الخطوات المقبلة والمكملة وصولا لتقديم قراءات ووضع مسارات فكرية علمية تاريخية . وان يجيب المؤرخ عن اسئلة واشكاليات مجتمعية ويضع تصوراته وقراءاته امام النخب الثقافية والعلمية والسياسية بهدف المساعدة في التطوير والانضاج وخلق مناخ علمي تفاعلي يسترشد به المعنيين .

ان خطوات المنهج العلمي لمدرسة تاريخية جديدة تركز على الملاحظة الدقيقة لمحركات الواقع العراقي والواقع العربي ، والخوض في الوصف والتحليل ، فضلا عن اهمية وضع المعايير العلمية للبحث العلمي التاريخي الجديد ، والبحث في استشراف ابعاد وافاق المستقبل والتفكير بالبدائل والضمانات ودراسة التفاعلات والعلاقات ، والوقوف بشكل دقيق على المصالح والمشتركات من جهة وعلى عوامل واسباب الصراع والتناقض من جهة ثانية .[1]

وانطلاقا من رؤيا قدمها هربرت شنيدر في كتابه تاريخ الفلسفة الامريكية يمكن ان اركز على جملة من الافكار المهمة في اطار البحث عن مساحة من الوعي والفكر لتأسيس المدرسة التاريخية العراقية ، اذ ان معرفة الظروف كما هي يعد الاساس الوحيد المتين للمشاركة والاتصال ، وهذا يعني دراسة الواقع دراسة حقيقية موضوعية واعطاء الوصف بكل موضوعية وصدق ، ليشكل ذلك الارضية المناسبة للانطلاق بمشروع جديد يؤسس لفكر وقيم واتجاهات .

وعلى الرغم من ان الكتابة التاريخية هي جزء من الموروث الثقافي والحضاري لأي مجتمع خلال الحقبة التاريخية مجال البحث ، الا انه من المفروض ان لا تكون انعكاس لإفرازات ونتائج للمرحلة التاريخية بكل سلبياتها وقصورها ، بل ان تكون مرتكز للتحدي وللتنبيه والتركيز ورسم الاتجاهات الفكرية والثقافية وخلق المناخات الايجابية لنمو السلوكيات والافكار والابداعات .

---

(1) عبدالباسط عبدالمعطي ، البحث الاجتماعي ، محاولة نمو رؤية نقدية لمنهجه وابعاده، دار المعرفة الجامعية 1985، ص/ 128.

نحن بحاجة الى عصر جديد يسوده الفكر والفلسفة والجرأة في التفكير وخوض غمار مرحلة تحدي فكري وقيمي جديدة لمواجهة التحديات الخطيرة التي تمس جوهر الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل تمس الوجود الانساني.

في الوقت الذي نحتاج فيه الى صياغات وافكار وفلسفات متقدمة نافذة في المجتمع، الا انه في الوقت نفسه نحتاج الى وضوح وافكار نسترشد بها يمكن ان يتعامل معها الافراد وعموم المجتمع ، فالتوفيق بين الوضوح والواقعية من جهة وبين الفلسفة والفكر الثاقب يعد امر ضروري ومهم .[1]

ان كل ثقافة او ميدان معرفي يشكل صورة معينة عن الواقع، فالتصور لا يعدو كونه اكثر من وجهة نظر او زاوية، فالتصورات وجهات او زوايا نظر، وان عدم امتلاك تصورات تعبر عن الحاجات النفسية والاجتماعية يخلق حالة شعور بعدم الامان وعدم الرضى عن النفس، في حين ان امتلاك تصور للعالم يمنح الشعور بالانتماء الى مجتمع عبر الانتماء الى تصوراته الثقافية .[2] لذلك هذا يؤكد اهمية دراسة الواقع وامتلاك رؤيا فلسفية لتشخيص عوامله ومحركاته ، لتشكل ارضية لرسم مستقبله ومواجهة التحديات ولوضع الحلول .

الديمقراطية هي قدرة التجربة الانسانية على خلق الاهداف والمناهج التي تنمو بها تجربة ابعد واغنى، وهي الايمان بان عمل التجربة اهم من اي شي ، والتجربة هي التفاعل الحر للكائنات الانسانية الفردية مع الظروف المحيطة .[3] ويبدو ان كل التجارب والحكومات السياسية التي ادارت دفة الحكم منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921 حتى اليوم لم تقلح في خلق اجواء ديمقراطية حقيقية تفضي الى استقرار وخلق مناخات لأطلاق الافكار والابداع ، لذلك فان السلطة والثروة هي المحرك في تفسير كل حدث وكل قضية ، وبالتالي ضاعت على العراق امكانية تأسيس تجربة انسانية حقيقية .

(1) هربرت شنيدر ، المصدر السابق ، تاريخ الفلسفة الامريكية ، 406.

(2) يوسف تيبس ، التصورات العلمية للعالم .. قضايا واتجاهات في فلسفة العلم المعاصرة ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، ودار الروافد الثقافية / ناشرون ، ط/ 1 ، (الجزائر ، بيروت 2014) ، 31 .

(3) هربرت شنيدر ، المصدر السابق ، تاريخ الفلسفة الامريكية ، 410.

وفي هذا القدر نفسه الذي فشلت فيه النخبة الحاكمة ، فان المعارضة السياسية هي الاخرى لم ترتقي الى مستوى مناسب من الاداء الذي يسهم في بناء مناخات ايجابية ، وكانت تبالغ في مطالبها ، وتعرقل الخطوات التي كان ن الممكن ان تنفذ بالتدريج ، وتخلق اجواء من الصراع والاضطراب ، وهي الاخرى فشلت في صياغة الفكر والفلسفة للحكم والادارة .

والمشروع الفكري التاريخي الجديد ينطلق من استيعاب التقنيات العلمية في البحث العلمي ومعاييره العالمية من جهة ، ويضع نصب عينه تأثير التكنولوجيا وعصر المعلومات والمعرفة في مجرى تكوين عناصر الدفاع والقوة في مواجهة التحديات، اذ لابد ان نبدأ من حيث انتهى العالم ، ان نبدأ من ادراك اهمية ودور المعرفة وعصر المعرفة في الشخصية وفي ادارة الدولة والحكم الرشيد وفي التفكير . اذ ان من المؤكد ان عدم امتلاك المعرفة وغياب التعامل مع التكنولوجيا كان احد اهم الاسباب وراء تراجع الامة وضعف دورها وعدم تقدمها .

فضلا عن ذلك ان استكمال صياغة الاطار النظري للمدرسة التاريخية الجديدة بحاجة الى هوية وطنية ، و بناء وامتلاك عناصر القوة القادرة على تنفيذ برنامج اصلاحي كبير، فالتشظي والهويات الصغيرة والتناقض والاختلاف لا يمكن ان توفر فرصة امتلاك عناصر وشروط النهضة والقدرة على مواجهة التحديات ، فالدولة الوطنية يجب ان تمتلك اقتصاد قوي وخطط للتنشئة الاجتماعية والبناء الثقافي والانساني والمجتمعي للإنسان العراقي والعربي ، فالاطار النظري يدعونا الى ان نضع في الحسبان الحاجة الى اعتماد قيم ثقافية واقتصادية وسياسية ومعنوية تعزز الهوية الوطنية والمصلحة الوطنية .

واستلهاما من نهج واراء فريدريك ليست مؤسس المدرسة التاريخية التي تقوم على الاقتصاد القومي وجاءت ردا على اراء ادم سمث التي تقوم على الاقتصاد الحر والتجارة الحرة ، اذ اكد ليست على الاقتصاد القومي .[1]

تعود العقل البشري على نفي ذاته من اجل خلق ذاته ، وهي ما توصف بانها عمليات النفي الايجابية ، نفي الجهل لبناء المعرفة ، ثم تحويلها الى جهل عبر اكتشاف جديد من خلال التفاعل مع الطبيعة ومع الاخرين ، اذ ان العقل البشري نشاط فعال يكشف ويجد الاشياء والحلول ويدعو الى

(1) طارق يوسف العزاوي ، تاريخ المجتمعات ومدارس الفكر الاقتصادي ، دار البرهان ، ط/ 1 ، (بغداد 2014) ،ص/ 205 .

التغيير ، ولابد ان تتحول الافكار والنظريات العلمية والفلسفية او العلوم الاخرى الى تصورات مهيمنة مؤثرة على باقي اشكال الثقافة المحلية والعالمية ، فالثقافة العلمية التي نتطلع اليها هي نظريات او نظرية تصف وتفسر العالم بهدف فرض وخلق ثقافة سائدة لنفسها ، وبالتالي فهي رؤية وتصور للإنسان والعالم ، وصولا لتقديم تصور علمي يترجم الوضع المعاصر للمعرفة العلمية ، انه حسب وجهة نظر (دافيد نوغل) ليس هناك ما هو اعمق او اقوى من شكل ومحتوى وعي الانسان وتفسيره الاساسي لطبيعة الاشياء .[1] ومن خلال حالة الوعي وتفسير الاشياء يمكن ان نحدد طريقة التفكير ونسك بخيوط الاطار النظري لمدرسة فكرية تاريخية .

نحن بحاجة الى كتابات ونظريات تستند وترتكز عليها الاسس الجديدة المدرسة التاريخية العراقية ، فضلا عن ان تجارب المدارس التاريخية الفكرية التي سبقتها كالمدرسة الالمانية اهتمت في مسالة طرائق البحث، كالاستنباط والاستنتاج والاستقراء ، ونحن بحاجة الى اكتشاف قوانين اجتماعية وتاريخية يمكن ان تكون قوانين متحركة للتطور . زيادة على ذلك فان المدرسة التاريخية العراقية تتطلب دراسة اسباب الهزائم العسكرية القومية والوطنية ، واسباب فشل بناء منظومة واليات العمل السياسي وغياب الحكم الرشيد ، وغياب المشاركة والوعي .

من المؤكد القول ان النخبة التي تتصدى للعملية السياسية والتي تتولى الحكم هي مع بيئتها ومع كل الظروف التي ساهت في صيرورتها تتحمل المسؤولية التاريخية في الفشل في خلق دول مؤسسات وبناء حكم رشيد ، اذ ان الصيرورة التاريخية تتشكل بحسب طبيعة التجربة البشرية ، وان الانسان هو صاحب الكلمة النهائية في تكوين الحدث ، وان الجماعة البشرية هي التي تصنع تاريخها من خلال تأثير عاملين اساسيين في التكوين الاجتماعي وهما البيئة الاجتماعية وما يطلق عليهم الابطال او الطليعة الرائدة .[2]

(1) يوسف تيبس ، التصورات العلمية للعالم .. قضايا واتجاهات في فلسفة العلم المعاصرة ، ابن النديم للنشر والتوزيع ، ودار الروافد الثقافية / ناشرون ، ط/ 1 ، (الجزائر ، بيروت 2014) ، 27-31 .

(2) صائب عبدالحميد ، فلسفة التاريخ في الفكر الاسلامي : دراسة مقارنة بالمدارس الغربية الحديثة والمعاصرة ، دار الهادي ، 601.

لذلك تبرز الحاجة الى خلق بيئة اجتماعية تساعد في بناء منظمة سياسية حقيقية وفاعلة وايجابية، زيادة على ذلك فان المؤسسات السياسية العربية عموما تحتاج الى ابطال ونخب فذة وطنية ومقتدرة تضع على سلم اولوياتها المصلحة الوطنية العليا . وليس دكتاتوريات او انظمة قبلية بعيدة عن امال شعوبها .

الاطار النظري لمدرسة تاريخية يحتاج الى كتابات جديدة جريئة تحدد اطار فكري فلسفي جديد يحدد المشكلات والاشكاليات التاريخية ، لذلك فان المهم وجود من يتصدى ويتقدم الصفوف بجراة وقوة للخوض في غمار البحث التاريخي الجديد .

ان فهم مسارات السياسة الدولية والعوامل التي تتحكم بمساراتها ، ومعرفة جوانب الخلاف والصراع والمصالح لكل طرف من الاطراف المحركة للسياسة الدولية كفيل بان يجلعنا قادرين على تحديد موقفنا ورسم سياستنا وخيارتنا ، فنحن ضحية مصالح واجندات دولية كانت لها التأثيرات السلبية الكبيرة على حياتنا ، فضلا عن فشلنا في التعامل مع العوامل الدولية والاقليمية ، مع الاعتراف بغياب بالدور والارادة الوطنية ، كلها عوامل جعلا منا ضحية عوامل واجندات ومصالح متناقضة ، لم تراعي ابدا مصالحنا .

في عام 2008 وقعت حادثتان مهمتان عدت مؤشر ينذر بنهاية النظام العالمي الجديد الذي تهيمن فيه القوة العالمية والاقتصادية الامريكية ، ففي اب 2008 شنت روسيا حرب وهجوم على جورجيا ، اذ كانت هذه الجمهورية السوفياتية سابقا محط اهتمام الامريكان ، ويعد جيشها المدرب والمسلح من الولايات المتحدة ومن اسرائيل ثالث اكبر الجيوش التي شاركت بحرب العراق ، وكان الرئيس الجورجي يسعى لانضمام بلاده الى حلف شمال الاطلسي، فكان الصراع الروسي الجورجي في المنطقة المتنازع عليها (باوسيتيا) نقطة تحول دولية ، تحدت فيها روسيا الولايات المتحدة وقوضت سيطرتها العسكرية ، والحادثة الثانية التي حدثت بعد ثلاث اسابيع من الاولى كانت قد هددت صلب المنظومة المالية الاقتصادية للولايات المتحدة ، اذ انهار رابع اكبر مصرف استثماري في الولايات المتحدة وهو افلاس مصرف ليمان براذرز فاغرق العالم الغربي في ازمة تعد اخطر ازمة بعد ازمة عام 1929 المالية العالمية .[1]

(1) شيموس مين ، انتقام التاريخ ، معركة القرن الحادي والعشرين ، ترجمة اميرة المصري ، دار التنوير للطباعة والنشر ، ط/ 1 ، (بيروت 2014) ، 6 .

فضلا عن ذلك فان هناك حقيقة قد تجسدت بشكل واقعي على الارض ان القوى الغربية الكبرى والولايات المتحدة لم تكن تصلح لان تكون حليف استراتيجي يحقق للعرب امالهم وطموحاتهم وتضعهم على مسار التقدم ، وبالتالي فأننا امام مفترق طرق في تحديد سياستنا الخارجية ، فأما ان نتمكن من اقناع او اجبار الولايات المتحدة على تعديل مسارات سياستها نحو افاق تعاون بناء مثمر يحقق الامن والاستقرار يمنح الفرصة للعمل والابداع والعطاء والبناء ، او نحدد خياراتنا في التحالف مع روسيا وفق رؤيا وفلسفة تحقق مصالح الطرفين من جهة وتدفع العالم الى افاق مراحل جديدة من التعايش والامان والعلاقات الودية ، وسيادة التوازن الدولي وتامين مصالح الحليف الاستراتيجي (روسيا) من جهة ومصالحنا الاستراتيجية من جهة اخرى ، بل ان من مصلحتنا ان نخلق عالم متعدد الاقطاب يحقق التوازن والسلام ، وبالتالي فان المؤرخ مطالب بقراءة التطورات والسياسات في مجال فهم مسارات السياسة الدولية وانعكاسها على الامن القومي العربي.

على الامة ان تبحث عن ضمانات اكيدة تمنحها قدرة للدفاع في مواجهة المخاطر ، او تكون ضماناتها في تحقيق الامن والاستقرار والتطور ، ولعل ابرز المؤسسات الضامنة الحكم الرشيد والمؤسسة العسكرية المهنية والمرجعيات الدينية والمجتمع المدني ، او اي خيار اخر يمنح الامة قدرة الصمود وقدرة المواجهة والبناء .

البحث في جذور ومسببات العنف وزيادة مساحة استخدامه في التعامل مع الخلافات السياسية والدينية ، والبحث عن عناصر مشتركة توحد الامة وتمنع او تحد من استخدام العنف والتعصب والاقصاء في الحياة الاجتماعية والسياسية ، نحن بحاجة الى تعزيز وترسيخ الهوية الوطنية الجامعة .

الحروب والصراعات سواء كانت على صعيد القضية الفلسطينية او على صعيد القضية الكردية او الحروب غير المبررة القت بضلالها على الداخل العراقي من حيث وجود الخطر الخارجي او الازمة الداخلية ، وما افرزته من خلافات ووجهات نظر وولاءات مختلفة عرقلت او منعت تحقيق التوافق الوطني والانسجام الداخلي، بل ادت الى تفتيت وضياع الجهود .

ومن ذلك نخلص الى القول ان المدرسة التاريخية العراقية الجديدة ، انها مدرسة فكرية تمتلك اطار نظري وفلسفة وهوية ، وهي مدرسة تحليلية واقعية استقرائية ، ينبثق اطارها النظري من خلال دراسة تاريخ العراق وتاريخ الوطن العربي والعلاقات الدولية خلال المائة عام لوضع اطار نظري لها ينطلق من دراسة التاريخ وفقا للمحاور التالية :

- قراءات في المدارس التاريخية العلمية العالمية خلال القرنين التاسع عشر والعشرين .
- دراسة واعادة تقييم لمناهج لبحث التاريخي للمؤرخين العراقيين والعرب الرواد والجيل اللاحق لهم دراسة علمية منهجية دقيقة .
- دراسة واعادة تقييم وبحث للدراسات التاريخية لتاريخ العراق المعاصر منذ الحرب العالمية حتى الوقت الحاضر .
- وضع اطار نظري فكري لمدرسة عراقية عربية على ضوء الواقع وعلى ضوء التجارب العالمية .

المسألة الجزائرية في المؤتمرات الدولية 1814-1818 : مؤتمر إكس لاشابيل Aix _La chapelle 1818 أنموذجا :

جخدان بوعبدالله

1- وفود المؤتمر وأهدافه:

عقدت الأوتوقراطيات الأربع الكبرى انجلترا، والنمسا وروسيا وبروسيا هذا المؤتمر في سبتمبر عام 1818، وقد حضره رئيس الوزراء الفرنسي الدوق "دي ريشيليو ممثلا لفرنسا ،[1] وقيصر روسيا وإمبراطور النمسا "كابوديستریاس" ونيسلورد و الكونت "برنتشتورف"و مثل انجلترا لورد كاسلري ودوق ولنجتون .[2]

نتيجة التحالف المقدس الذي جمع كلا من النمسا و بروسيا و بريطانيا باستمرار العمل على إقصاء أسرة نابليون عن فرنسا وعلى وجوب اجتماع ممثلي الدول المتعاقدة في فترات يتفق عليها للبحث في مصالحها المشتركة وفي شؤون سلام أوروبا وأمنها، غير أن تحالف لم يكن حقيقيا فكان مترنيخ يريد جعل الحلف الرباعي أداة فاعلة لقمع الحركات الحرة في جميع أنحاء أوروبا وآلة في يد التحالف المقدس رغم رفضه الإنضمام إليه وعدو المبادئ الحرة في العالم، ورأى كاسلريه محافظ في أعين خصومه الأحرار والمستبد وعدم تدخل الدول في السياسة الدول وحكمها الداخلي وكان يرى حماية ألمانيا وتقويتها لتقف سدا في وجه فرنسا و روسيا وانه يعرف قيمة التحالف مع النمسا كدعامة محافظة وعدم رغبته في مشاهدة بريطانيا تَجرُ تَدخُلَ في شؤون الداخلية لأوروبا وأن مواطنيه لن يسمحوا لأنفسهم بالإشتراك في سياسة مترنيخ ذات الشدة و القمع و بمرور الوقت حصلت خلافات بين سياسة بريطانيا و النمسا، [3] كما اتسمت هذه السنوات بمحاولات روسيا وكنتيجة طبيعية لما كانت عليه مكانتها في 1814–1815 توسيع نطاق هيمنتها وخروجها إلى المياه الدافئة في

(1) نصار (ممدوح)، وهبان (أحمد)، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815-1991، قسم العلوم السياسية ،كلية التجارة، جامعة الإسكندرية ،د.ت.ط.، ص . 49

(2) عصمت راشد (زينب)، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر، ج2، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت.ط.، ص. 243

(3) الزيدي (المفيد)، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث و المعاصر من الثورة الى الحرب العالمية الأولى (1789-1914)، ج3، ط 1، دار أسامة ،عمان الأردن،2004، ص . 701

البحر المتوسط بعد أن أخفقت محاولاتها في التغلغل إلى وسط أوربا، والواقع أن سياسة الإمبراطور الروسي الكسندر تجاه البحر المتوسط بدت أكثر وضوحا عام 1816 م حينما طلب من أعضاء الحلف المقدس التدخل العملي للقضاء على القراصنة البربر في البحر المتوسط، وأعرب عن استعداده لانجاز المهمة بمفردة بدلا عنهم، إلا أن تدخل بريطانيا وعرضها القيام بذلك بالتعاون مع السلطان العثماني قد أفسد خطة القيصر الكسندر وفي آذار 1817 فاوض الكسندر ، ملك اسبانيا فرديناند السابع لأجل الحصول على ميناء جزيرة مينورقة Minorca ، مقابل حصول اسبانيا على بعض قطع الأسطول الروسي، والمساعدة الروسية في تدعيم سلطة الملك في بلاده وفي مستعمراتها المتمردة في أمريكا الجنوبية، وأثارت سياسة روسيا باهتمام النمسا وقلق مترنيخ الشديد، نظرا للإرتباطاته العائلية في بادن وفورتمبرغ، وما كان يقوم به وكلاؤه في نابولي من تشجيع ودعم للفحامين Carbonari هناك وكأنها بداية لتغلغل روسي واضح في مناطق النفوذ النمساوي[1] في المانيا وايطاليا، ولا سيما أنها تزامنت مع نشاطات القيصر الكسندر في البحر المتوسط فإقترح مترنيخ اقتراح تشكيل عصبة ثالثة لدفع الخطر الروسي ورفضه كاسلريه خوفا من التصدع التحالف ولحسن نية اقترح القيصر الكسندر على كاسلريه تخيفض القوات العسكرية الروسية شريطة التزام النمسا وبروسيا بتقليص قواتها ومنشآتها العسكرية، بيد أن هذا المقترح لم يلق استحسان بريطانيا لعدم إمكانية تطبيقه في ظل اختلاف ظروف الواقع السياسي للدول الثلاث، وكذلك النمسا لفقدان الثقة بالكسندر، "ولاسيما وان الكسندر كان دائم التبجح بإمكانية وضع مليون مقاتل في ساحة المعركة.[2]

أما فرنسا في شهر نوفمبر من عام 1815 م رأى التحالف الأوروبي أن موقف الشعب الفرنسي يهدد عملها ، إلا أن تعقل الشعب الفرنسي أثار دهشة الحلفاء رغم تواجد قواتهم على آراضيها حتى تدفع غرامة الحرب و ظهرت في هذه الفترة معارضة اليسار (فلاحين و عمال وصغار البرجوازية والضباط السابقين) عودة نظام القديم، و معارضة اليمين (كبار ملاك الأراضي) ضد نظام السابق وخشيتهم من سيطرة الملكيين المتطرفين راغبين في قلب النظام ، فرأى الحلفاء أن الملكية المعتدلة تمارس السلطة في فرنسا ، وهنا ظهر دوق دي ريشيليه رئيس مجلس الوزراء في السلطة منذ

(1) حاوي الشويلي(زيدان حسان), مؤتمر فينا 1814-1815، رسالة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة بغداد, العراق ،2003. ،ص . 136

(2) نفس المرجع ،ص . 137

24سبتمبر 1815 أن يعمل على إرضائهم والذي سبقه أن عاش في روسيا أثناء هجرته وعمل حاكما على أوديسا الحاضي بثقة الإسكندر فقبله الحلفاء بسهولة لأنه عرف عنه الاعتدال والولاء فإصطدم دي ريشيليه بمعارضة الملكيين المتطرفين الذين حصلوا على الأغلبية في الجلس المعقود وهنا نصحت انجلترا وروسيا لويس الثامن عشر بحل هذا المجلس في سبتمبر 1816 ، وأجرت انتخابات جديدة وفاز المعتدلون وظهر موقف فرنسا 1817 أكثر ثباتا وأفاد الدوق دي ريشيليه انه سيحاول بناء سياسة الخارجية لفرنسا بناءا على هدفين جلاء الحلفاء عن الآراضي الفرنسية دون انتظار خمسة سنوات و كذا قبول فرنسا دخول في المجموعة الأوروبية ،[1] وهكذا لم يستطع النبلاء أو الإشراف إطلاقا استرجاع سلطانهم و امتيازاتهم القديمة ،أما رجال الدين ازدادوا ضعفا أمام مساواة القانون وحرية الشخصية والحرس الأهلي وإلغاء نظام الإقطاع والنظام القضائي الجديد دون أن تتأثر بعودة الملكية إلى الحكم ولم يحاول أحد إلغاء قوانين نابليون الشهيرة ولا إقفال الجامعة التي أسسها، وهكذا بدت الملكية العائدة بتقاليدها المطلقة لا تناسب مجتمعا أصبحت تسوده مبادئ المساواة والحرية ونزعة بعيدة كل البعد عن الدين ،[2] وضع رشيليو في جدول أعمال وزارته بعد 1817 هدفا رئيسيا هو إنهاء الاحتلال واستعادة قبول فرنسا في المحفل الأوربي، الأمر الذي تطلب إيفاء فرنسا بكل التزاماتها المالية لتكون نافذتها لتهدئة شكوك الحلفاء، وتزيل عوامل الشك والريبة التي اقترنت بالثورة الفرنسية وسيرا بهذا الاتجاه، فقد اتخذت وزارة رشيليو إجراءات مالية كثيرة وناجحة أثمرت بالنتيجة في تسديد الغرامة المالية، [3] فهي سياسة داخلية من قبل الدوق دي ريشيليه لجعل الحلفاء يوافقون على الجلاء من أراضيه قبل الميعاد وكذلك للقضاء على الروح الثورية. [4]

تضمن جدول الأعمال المؤتمر اكس لاشابيل سحب القوات المحتلة من الأراضي الفرنسية وتجدر الإشارة أن ريشيليو قد سعى جاهدا خلال العامين السابقين على انعقاد المؤتمر اكس لاشابيل

(1) رنوفان (بيير) ، تاريخ العلاقات الدولية 1914_1815، تعريب جلال يحي ، د.م ،مصر ،ط2، 1971، ص 52-51.

(2) المقرحي (ميلاد أ) ، تاريخ أوروبا الحديث 1848_1453، ط1،دار الكتب الوطنية قان يونس، بنغازي، 1996، ص . 366

(3) حاوي الشويلي (زيدان حسان) ، المرجع السابق ، ص 140.

(4) رونوفان (بيير) ، المصدر السابق ، ص .52

إلى إقناع الأوتوقراطيين الأربعة الكبار بضرورة سحب قواتهم من فرنسا في أقرب فرصة ممكنة وعدم الانتظار إلى نهاية الخمس سنوات التي حددوها في مؤتمر باريس الثانية[*] كفترة احتلال أن يضج الشعب الفرنسي وتزداد لدى أفراده مشاعر العداء القوى الأربع الكبرى على نحو قد يهيئ لإيقاظ الروح الثورية في نفوس الفرنسيين ، [1] ونظرا لما أبدته فرنسا بتقيد بمقررات مؤتمر فينا ورغبة في محافظة على التوازن الدولي فقد وافق مندبوا انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا على الجلاء من الأراضي الفرنسية قبل نهاية شهر نوفمبر1818 ، بالمقابل تتعهد فرنسا بدفع غرامة المفروضة عليها مرة واحدة وقرار هذا كان قد صدر رغم تخوف انجلترا من روسيا المتحمس لمساعدة فرنسا، [2] وأمام حجج ريشيليو المقدمة اضطر ولينجتن قائد قوات الاحتلال بفرنسا إرسال محققين لدراسة حال الرأي العام الفرنسي وسرعان ما أكدت الدراسة صواب ادعاءات ريشيليو الأمر الذي تمخض عن اقتناع الحلفاء بضرورة سحب قوات فرنسا،[3] وفي ربيع 1818 تم استعداد الرسمي والفعلي لسحب القوات شريطة أن تدفع فرنسا الغرامة الحربية المحددة من قبل معاهدة الصلح بأكملها ، وفي 19 أكتوبر 1818، تم الجلاء قوات التي تحتل فرنسا غير أن ريشيليو لم يكتف وطالب المؤتمرين بقبول فرنسا عضوة في زمرة القوى الكبرى مؤكدا لهم فقط لإرضاء العزة القومية الفرنسيين وتدعيم النظام

(*) معاهدة باريس الثانية 20/ 11/ 1815م : عاملت بريطانيا في تسوية عقب حكم مائة يوم بالإعتدال وبروسيا نالت مرادها (الألزاس و اللورين) و بدا ولنجتن و كاسلريه تحول فرنسا الخسارة لمصلحة انجلترا و فائدة لأوروبا أن تقدم كل معونة ممكنة لأسرة الفرنسية المالكة لكي تحتفظ بولاء شعبها نعم قضي على فرنسا أن تتخلى عن دوقية بويون و شطر من الآردن الى مملكة الاراضي المنخفضة وأن تسلم حصون سارلوى ولنداو لألمانيا و أن تدفع غرامة قدرها سبعمائة مليون فرنك و أن تخضع لجيش الاحتلال لفترة ثلاث الى خمس سنوات و أن تعيد كنوز الفنية التي سمحت لها معاهدة الصلح السابقة بأن تبقيها في يدها و لكن لم يكن في هذه الشروط ما يتعذر على كرامة فرنسا القومية احتماله. ينظر: فيشر (هربرت.أ.ل)،تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950،ط2، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف،القاهرة،1984.ص 115

(1) وهبان (أحمد)، نصار (ممدوح) ، التاريخ الدبلوماسي...، المرجع السابق، ص . 49

(2) هريدي (أحمد صلاح)، تاريخ اوروبا الحديث والمعاصر 1789-1914، ط1 ،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، د.م.ن، 2003.، ص . 143

(3) رونوفان (بيير)، نفس المصدر ، ص . 62

الملكي الفرنسي رغم الاختلال في بداية الأمر وافقوا في الأخير على المطلب وأصبحت فرنسا واحدة من ضمن القوى الكبرى المقررة لنسق الأوروبي، بعد أن اقنع مترنيخ ممثلي انجلترا وروسيا وبروسيا بإتفاق سري بين الأربعة بإستخدام جيوشها الأربعة مشتركة و متحدة ضد فرنسا في حالة ترتب تهديد امن الدول المجاورة ، وتم ذلك في1نوفمبر 1818 ، غير أن موافقة انجلترا كان فقط اعتلاء أحد أسرة بونابرت عرش فرنسا،[1] توجت أعمال مؤتمر اكس لاشابيل بتوقيع بروتوكول في الخامس عشر من تشرين الثاني عام 1818م من قبل ممثلي النمسا، فرنسا، بريطانيا، بروسيا وبروسيا، أعيدت بموجبه فرنسا كعضو فاعل في المحفل الأوربي. تضمن هذا البروتوكول مقدمة وخمسة مواد، جاء في مقدمته: "إن وزراء النمسا، فرنسا، بريطانيا، بروسيا، وروسيا قد اجتمعوا في هذا المؤتمر لتدارس العلاقات التي يجب أن تبنى بين فرنسا والدول الموقعة على معاهدة باريس الثانية والتي ستضمن لفرنسا المكانة الملائمة في النظام الأوربي مما سينعكس في تعزيز السلام والهدوء العام"، أما المادة الأولى من البروتوكول فقد بينت "تصميم المؤتمرين القوي على عدم التخلي عن مبادئ الاتحاد الصميمي في تسيير علاقاتهم المتبادلة أو علاقاتهم مع الدول الأخرى"،أما المادة الثانية، فقد بينت "أن هذا الاتحاد سيكون قويا وقادرا على الحفاظ مع السلام بقدر عدم اعتماد أعضاءه على المصالح الخاصة والحاجة المؤقتة في تسيير شؤونهم"، أما المادة الثالثة، فقد أشارت إلى "أن فرنسا التي أنظمت إلى الدول الأخرى باسترجاع الملكية الشرعية تتعهد من الآن فصاعدا بان تتعاون في المحافظة وتعزيز النظام الذي لوحده أعطى السلام لأوربا ولوحده يضمن استمرار وبقاء السلام"، أما المادة الرابعة، فقد بينت "انه من اجل المحافظة على السلام فان القوى الموقعة على هذا البروتوكول ترى أن من الضروري أن تعقد اجتماعات خاصة أما للملوك أو لوزرائهم أو ممثليهم من اجل معالجة مصالحهم الخاصة بصورة مشتركة، وأن وقت ومكان هذه الاجتماعات سوف يحدد مسبقا من خلال الاتصالات الدبلوماسية وإذ ما قدر لهذه الاجتماعات إن تتناول شؤون دول أخرى، فيجب أن يتم ذلك من خلال دعوة هذه الدول رسميا للمشاركة فيها"، أما المادة الخامسة، فقد بينت "وجوب إعلام كل بلاطات أوربا بقرارات

(1) وهبان(أحمد)، نصار (ممدوح)، المرجع السابق، ص 50-51.

هذا البروتوكول من خلال تصريح خاص" يعد مؤتمر اكس لاشابيل من انجح المؤتمرات الدورية. إذ انتهت بموجبه الوصاية الدولية على فرنسا.[1]

2- مناقشة مسألة القرصنة المغاربية في الحوض المتوسطي :

مسألة أمن البحر الأبيض المتوسط إحدى القضايا الساخنة التي نالت إهتمام الدول المسيحية بزعامة انجلترا منذ عقد مؤتمر لندن 1816م ،التي لم تخرج بأي نتيجة أو اتفاق حول إنهاء القرصنة المغربية عموما و الجزائرية خاصة و رغم ما شهدته من تراجع فالجزائر أعادت بناء أسطولها ومعاودة نشاطها مما جعل المؤتمرين يناقشون القضية في مؤتمر اكس لاشابيل في جنوب ألمانيا 1818 من طرف القوى الخمسة الكبرى " انجلترا و فرنسا و روسيا و بروسيا والنمسا "،[2] وتم اتفاق على توقيع بروتوكول 20 نوفمبر1818 جاء فيه :" اتفق المفاوضون طبقا لنص بروتوكولي على أن يواصلوا في المؤتمر الوزاري الذي سيعقد في لندن النظر في المقترحات لإلغاء القرصنة التي تمارسها الدول البربرية (المغربية) بطريقة فعالة ... وقد طلبوا إلى مندوبي بريطانيا و فرنسا بوصفها ممثلين للبلاطين اللذين يجب أن يكون لنفوذهما ثقل أكبر لدى هذه القرصنة الذي يقلق التجارة السلمية التي ستكون له آثار تجعل الإيالات المغاربية أن تفكر عاجلا في نتائجه التي قد تمس وجودها نفسه ... وتحتفظ البلاطات الخمس بحقها في تحذير الباب العالي أيضا بصورة ودية من الأخطار التي قد تتعرض لها الإيالات المغربية نتيجة استمرارها في ممارسة القرصنة من حيث أنها ستكون سببا في قيام الدول الأوروبية بإتخاذ اجراءات حاسمة.[3]

---

(1) The protocol of Congress of Aix la Chapelle, 15 November,1818,D.p. H.E.C,Doc.No6,pp14-16.

(2) هلايلي (حنيفي)، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815_1830 ، ط1،دار الهدى ، الجزائر، 2007، ص 15.

(3) شالر(وليام)،مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر(1824-(1816،تعريب و تعليق و تقديم اسماعيل العربي، شركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1982، ص 324-323. لم يتوصل المجتمعون الى اتفاق على خطة العمل المشترك ضد الدول المغربية، حيث سوية بإرسال مبعوثان (انجليزي و فرنسي) لإبلاغ الداي بتصريح موجه لدول المغرب البحرية جاء فيه:"إن الدول التي إجتمعت في ايكس لاشابيل قد عقدت العزم على وضع حد لنظام القرصنة الذي هو ليس مضرا بالمصالح العامة لكل الدول فقط وإنما أيضا مخرب لكل أمل في الرخاء بالنسبة للذين يستخدمونه ،و إذا ما استمرت الإيالات في إتباع نظام

3- فرنسا وبريطانيا تتبنى تنفيذ قرارات مؤتمر إكس لاشابيل 1818 وموقف المغاربة منها :

أ_الجزائر وموقفها من مؤتمر اكس لاشابيل 1818:

وكان مؤتمر اكس لاشابيل آخر المؤتمرات التي ناقشت مسألة القرصنة، فبروتوكول الصادر هو مخطط واضح بالقضاء على القرصنة المغربية وتم ذلك بتكوين أسطولين في النصف الثاني من سنة 1819 الأول انجليزي" توماس فريمانتل "و الثاني فرنسي بقيادة "جوريان دي لاغرافيير "لإرغام المغاربة بتخلي عن عمليات القرصنة وتوجها مباشرة إلى الجزائر وحظي بلقاءين.[1]

ب_مقابلة الداي مع مبعوثي دول اكس لاشا بيل :

ب-1- تقرير مقابلة الأولى 5سبتمبر 1819: في يوم 5سبتمبر 1819 توجه مبعوثان لمقابلة الداي حسين على الساعة الحادية عشرة صباحا مرفقين بقنصلي بلديهما العامين و بضابطين من هيئة أركانهما صحبة كل واحد منهما ذلك أن الداي قد أعلن أنه سيستقبل ثلاثة أشخاص من كل أمة

هو عدو للتجارة الآمنة فإنها سوف تجر عليها قيام عصبة عامة من الدول الأوروبية ضدها ، و يجب عليها أن تفكر في ذلك قبل فوات الأوان،لذلك أن قيام مثل هذه العصبة قد يؤدي إلى تهديد وجودها ذاته، و في هذا الظرف العصيب فإن الوعود الشفوية لن تكون كافية إذ المطلوب هو عهد رسمي على درجة كبيرة من الأهمية بالنسبة لأمن الملاحة، و تجارة جميع الدول و بما أننا بلغناكم نوايا الدول الحليفة كتابة فإننا نعتبر أنه من حقنا أن ننتظر منكم ردا على هذا المسعى بنفس الطريقة ."هذا و تجدر الإشارة أنه خلال هذا المؤتمر سعت فرنسا إلى إستبعاد الدولة العثمانية .ينظر :

رزيق (محمد)، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة "1837 تحليل وثيقة دبلوماسية"، الشاطبية للنشر والتوزيع ط1 ،2012 ، ص47.

(1) رزيق (محمد)، المرجع السابق ،ص . 326ينظر كذلك: فركوس (صالح) ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر1925_1830،مديرية النشر لجامعة قالمة،الجزائر،2010،ص3.ينظر ذلك :

فركوس (صالح) ، مختصر في تاريخ الجزائر "من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين "، دار العلوم للنشر و التوزيع ، 2002، ص . 111 ينظر كذلك :

De Grammont (H.D),‹‹ un episode diplomatique à Alger aux xvii siècle ›› ,in,R.A °26,1882,pp 384_385.

فقط،[1] أخذ مبعوث الفرنسي الكلمة ليقدم للداي التصريح الذي وضعته المؤتمرين في اكس لاشابيل مرفقا بمذكرة توضيحية وطلب المبعوث من الداي أن يكون رده على الإشعار كتابة كذلك استلم الداي المذكرتين ومعها ترجمة باللغتين التركية والعربية الموقعة من طرفهما كذلك فقرأها الداي، فإندهمش من احتجاج المقدم له الذي لا أساس له كون الجزائر في حالة سلم مع كل الدول الأوروبية وانه منذ وصوله لم يحدث شيء من هذا القبيل في الجزائر وقال هذا الإجتماع عديم الجدوى وكان رد المبعوثان أن الجزائر في سلم مع أوروبا منذ أن وصل إلى الحكم لكن ماضي وحكم أسلافه قد وقعت حوادث خطيرة فهو مسؤول عن كافة أعمال أسلافه ولعدم معاودت الكرة أسلافه تطلب منه دول الأوروبية ضمانات مستقبلية بإتخاذ قرار ثابت ومحدد فأعرب الداي حسين أنه لن يسمح بحجز أية سفينة ولا ممتلكات أي سفينة أوربية الذين لهم قنصلا معتمدا في الجزائر ويحافظ على السلم بين الإيالة و الدول الأوربية أو أحد رعاياها أليس هو سيد في مثل هذا الأمر في أن يعلن الحرب ويطالب بالتعويضات عن الأضرار التي لحقت به ؟ فكان رد نعم من قبل المبعوثان لكن المحايديين سيتضررون، وأن هدفنا تأمين المبادلات الأوروبية إلى الأبد وتأمين تجارتها الممارسة تحت حماية القانون العام وحقوق الإنسان فرد الداي بعدم إزعاج تجارة المحايدين وهنا طلب المبعوثان تدوين الضمانات كتابة بناءا على تعليمات حكوماتهما فطلب الداي تفكير في الموضوع الذي شكك في صحتة المبعوثين وأنها من تلقاء نفسيهما[2].

ب-2-المقابلة الثانية: تمت في 9سبتمبر 1819م: طلب المبعوثان بواسطة مترجمهما هل سمو الداي مستعد لإعطاء الجواب مكتوبا ردا على مذكرتيهما ، فكان رد الداي بواسطة مترجمين أنه لم يعتد على أية دول الأوربية وانه وفق معتقداته ومبادئه ينوي ضبط علاقاته ومساعيه مع الدول الأوروبية دائما في هذا الإتجاه ولكن لا يبدو ضروريا إعطاء هذا الجواب مكتوبا ، وعلى إثرها طلب المبعوثان مقابلة الداي لتوضيح الموضوع وحددت المقابلة يوم 9 سبتمبر على الساعة الواحدة بعد الظهر، وقدم للداي مشروع تصريح مترجم إلى العربية يتضمن التأكيدات التي كلف المترجمين بتبليغها للمبعوثين وترجياه قراءته بتمعن وإقراره بوضع خاتمه عليه ومشروع التصريح هو مايلي :"إن

(1) قنان (جمال)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث((1830_ 1500 ،مؤسسة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، 1987 ، ص. 267

(2) قنان (جمال)، نفس المرجع ، ص 268_269.

السيدين مبعوثي جلالتيهما إلخ،ترجيا سموه إقرار هذا التصريح بوضع خاتمه عليه لكونه لم يعتد على أية دولة أوروبية مهما كانت منذ توليه السلطة وانه وفقا لمبادئه ، فإن نيته هي ضبط علاقاته دائما في هذا الإتجاه مع الدول الأجنبية " وعند قراءته صرح بأن يبلغا حكوماتهما به لكنه لم يوقع لكونه لم يتلق أي إشعار موقع من عاهليهما، [1] فكان رد المبعوثان أنه لم تجري العادة أن يكتب الملوك عندما يوفدون مبعوثين بل مذكرات فقط فرد لا استطيع إعطاء الجواب مكتوب ، فهدده المبعوثان فرد الداي متسائلا أليس من حقه إعلان الحرب ضد أعدائه فرد مبعوثان انه خارج مهمتهما وأنه سيعبئ ضده قوات كل الدول الأوروبية ، ورد إذا كان عليه إحراق أسلحته التي لم تعد بناء على ما يطلب منه بذات جدوى فرد مبعوثان يجب احتفاظ بأسلحته كما تحتفظ بها دول الأخرى دون إزعاج وإقلاق تجارة الأمم الأخرى ، وصرح الداي بإحترام جميع معاهدات التي تربطه بالأمم الأوروبية التي في حالة سلم مع الجزائر وقناصل معتمدين لديه ويمنع من اعتداء عليها لكن له حق بتفتيش وحجز كل السفن التي لا تحمل جوازات السفر مضبوطة ، فرد مبعوثان أن هذا هو موضوع شكوى الرئيسي للدول الأوروبية الكبرى لأنه مضيعة للوقت وزيادة في المصاريف وحجز الصحي عالي التكلفة .

لقد لا حظ سمو الداي أنه من الحائز أن يكون في حالة حرب منذ الغد مع تونس ليتأكد من هو صديق وعدو ولا يعد صديق صديقا إلا تلك الأمم التي لها أعوان معتمدين لدى سموه وأمم أخرى عدوة مالم توفد مبعوثا لتصالح مع الجزائر فرد مبعوثان أن هذا المسلك سيعرضه للخطر ويهدد وجود دولته الجزائر وهنا توقف الحديث بين الطرفين وطلب المبعوثان إذن الإنصراف مرديين مرة أخرى، إذا كانت نيته الإستمرار في القرصنة ضد التجارة الأوروبية فإنه يجب عليه أن يتوقع إنهيال جميع أسلحة أوروبا عليه .

لم يرد سموه على هذا التصريح لقد إستأذن المبعوثان في الإنصراف وتمنى لهما سموه بلطف وامتنان رحلة سعيدة [2]بعد أن أبلغهما بأنه لا يخضع لأوامر الملوك الأوروبيين ، وأن دولته حرة في محاربة من تشاء وفي سلم من تشاء وأن سيفتش السفن الأجنبية جميعا [3]وأمر بتكثيف النشاط

(1) قنان (جمال)، المرجع السابق، ص . 270

(2) قنان (جمال)، المرجع السابق، ص 271- 272.

(3)Garrot(Henri),histoire générale de l'algérie , édition crescenzo,alger 1910, p641.

البحري كما أنذر جميع القناصل الأوروبيين المعتدين بالجزائر بانه في حالة ما إذا رفضوا دفع الإتاوات المقررة عليهم يعتبرون أعداءا. [1]

4- موقف كل من تونس و طرابلس الغرب و المغرب الأقصى من قرارات مؤتمر اكس لاشابيل :

أ-تونس و طرابلس الغرب :

أبحر الوفد الأوربي بعد تلك المحاولات الفاشلة إلى تونس التي وافقت على احترام كل المعاهدات المعقودة مع الدول الأوروبية و الإجماع الأوروبي على إنهاء الحملات البحرية ، وعلى الرغم من أن الجزائر هي التي تعرضت للقصف والتدمير من حملة اكسموث فإن موقفها كان قويا وفيه تحد واضح للقوى الأوروبية مجتمعة على عكس تونس وطرابلس التي وصلتها الفرقة الإنجلوفرنسية يومي 8 أكتوبر 1819 حيث أبلغت به أيالات المغرب ، وقد كان رد يوسف باشا كما يلي :"صاحب السمو باشا طرابلس نشعر ... بكل مشاعر الإحترام والصداقة لأصحاب الجلالة ملكا انجلترا وفرنسا وإلى ملوك القوى الأوروبية الذي اجتمعوا في اكس لاشابيل فإننا لندين من هذا اليوم 9 أكتوبر "وإلى الأبد كل مظاهر القرصنة والنهب سواءا بالبحر أم الأرض، وأيضا بعدم السماح لأي من سفننا التجارية بأن تدنو لتهاجم في البحر أي سفينة أو مركب تابعة للقوى المشار إليها أعلى.[2]

ب- المغرب الأقصى:

وكان موقف المغرب الأقصى من قرارات مؤتمر إكس لاشابيل من خلال قول أبي العباس الناصري :

"وفي هذه السنة 1233ه/ 1818 أبطل السلطان الجهاد في البحر و منع رؤساءه من القرصنة به على الأجناس وفرق بعض قراصنته على الإيالات المجاورة مثل الجزائر وطرابلس وما بقي منها

(1) الزبيري(محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال ((1830_1792، شركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر،1792، ص. 42

(2) هلايلي (حنيفي) ، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الايالة، المرجع السابق، ص. 17ينظر كذلك: عزت عبد الكريم (أحمد) ، دراسات في تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية ،بيروت ،لبنان، ص. 341

المدافع وغيرها من آلة الحرب وأعرض عن أمر البحر راسيا بعد أن كانت قراصنة المغرب أكثر وأحسن من قراصنة صاحب الجزائر وتونس. [1]

الإحالات

1- نصار (ممدوح)، وهبان (أحمد) ، التاريخ الدبلوماسي العلاقات السياسية بين القوى الكبرى 1815–1991، قسم العلوم السياسية ،كلية التجارة ،جامعة الإسكندرية ،د.ت.ط.

2- عصمت راشد (زينب)، تاريخ أوروبا الحديث في القرن التاسع عشر ،ج2، دار الفكر العربي، القاهرة ، د.ت.ط.

3- الزيدي (المفيد) ، موسوعة تاريخ اوروبا الحديث و المعاصر من الثورة الى الحرب العالمية الأولى (1789-1914)، ج3، ط 1، دار أسامة ،عمان الأردن،2004 .

4- حاوي الشويلي(زيدان حسان), مؤتمر فينا 1814–1815، رسالة لنيل شهادة الماجستير ،جامعة بغداد, العراق ،2003.

5- رنوفان (بيير) ، تاريخ العلاقات الدولية 1815_1914، تعريب جلال يحي ، دار المعارف ،مصر ، ط2، 1971.

6- المقرحي (ميلاد أ) ، تاريخ أوروبا الحديث 1453_1848، ط1،دار الكتب الوطنية قان يونس، بنغازي ، 1996.

7- فيشر(هربرت.أ.ل)،تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789–1950، ط2، تعريب احمد نجيب هاشم ووديع الضبع، دار المعارف، القاهرة،1984.

8- هريدي(أحمد صلاح) ، تاريخ اوروبا الحديث و المعاصر 1789-1914، ط1 ،دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر ،د.م.ن، 2003.

9- The protocol of Congress of Aix la Chapelle, 15 November,1818,D.p. H.E.C,Doc.No6,pp14-16.

10- هلايلي (حنيفي)، العلاقات الجزائرية الأوروبية و نهاية الإيالة 1815_1830 ، ط1، دار الهدى ، الجزائر، 2007.

11- شالر(وليام)، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816–1824)،تعريب و تعليق و تقديم اسماعيل العربي، شركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1982.

(1) هلايلي(حنيفي) ، المرجع السابق، ص. 18

12- رزيق (محمد)، العلاقات الجزائرية الفرنسية من خلال معاهدة التافنة "1837 تحليل وثيقة دبلوماسية"،الشاطبية للنشر و التوزيع ط1،2012.

13- فركوس (صالح) ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر1830_1925، مديرية النشر لجامعة قالمة، الجزائر،2010.

14- فركوس (صالح) ، مختصر في تاريخ الجزائر "من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين "، دار العلوم للنشر و التوزيع ، 2002.

15- De Grammont (H.D),‹‹ un episode diplomatique à Alger aux xvii siècle ›› ,in,R.A °26,1882.

16- قنان (جمال)، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500 _1830)،مؤسسة الوطنية للطباعة والنشر والتوزيع، 1987 .

17- Detassy(laugier), histoire du Royaume d'Alger, Préface Noël Laveau & André Nouschi, Editions, Loysel, Paris 1992.

18- Garrot(Henri),histoire générale de l'algérie , édition crescenzo,alger 1910.

19- الزبيري (محمد العربي)، التجارة الخارجية للشرق الجزائري قبل الإحتلال (1792_1830)، شركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر،1792.

20- عزت عبد الكريم (أحمد) ، دراسات في تاريخ العرب الحديث ، دار النهضة العربية ،بيروت ، لبنان .د.ت.ط.

اعراف القبائل في التحكم وفض النزاعات والخصومات في المغرب

أ.د. جنان عبدالجليل هموندي أ.د. ناهده حسين علي الاسدي

عندما بزغ فجر الاسلام وملأ النفوس والقلوب اشراقاً تولى الرسول (صلى الله عليه وسلم) التحكيم بين الناس، فكانت لاتزال من العادات والتقاليد تهيمن عليهم، وكان الناس غير ملزمين بما يحكم الى ان نزلت الاية الكريمة ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [1]، وقد كان في بعض الاحيان ينيب عنه الصحابة، وتطورت مؤسسة القضاء الاسلامي فأصبحت تتمتع بمركز كبير وتأتي بالاهمية بعد مؤسسة الخلافة [2].

دخل المسلمون الى المغرب يحملون رسالة الاسلام ويبلغونها وينشروها مقيمين ومترحلين ومجاهدين وداعين بالحكمة بالموعظة الحسنة في المسجد والديوان، وفي السوق والشارع فاستجابت البلاد لتعاليم الاسلام استجابة نموذجية فأقبلوا على اعتناق الاسلام، واستيعاب تعاليمه والجهاد في الدعوة اليه حيث وجدت فيه مخرجت من حيرتها وتفرق وحدتها فقد عاش المغرب قرونا طويلة يعاني من وحدته، فقد كان مطمعا لأنظار الغازين من مختلف الاجناس ومسرحا بلحداث خطيرة، وحروبا طويلة دامية عانى اهله من عدم الاستقرار والتمزق ونالهم الظلم، فأصبحوا لايركنون الى الراحة ليتحفزوا للثورة [3].

ووجد العرب في المغرب تعددا في المعتقدات الدينية واختلافا في معبوداتهم يصعب حصرها او الحديث عنها جميعا . فقد تطورت عقائد اهله بحسب تأثرهم بمن زحف عليهم من الامم، فكان دينهم المجوسية، ثم تنصروا في اواخر القرن الثاني الميلادي، ودخلت اليهودية مع البربر المتهودين

---

(1) النساء، آية 65

(2) الهموندي، جنان عبدالجليل محمد، القضاء والقضاة في المغرب الأدنى الى القرن الرابع الهجري، مكتب اليمامة للطباعة والنشر، بغداد ، 2015م، ص 4

(3) م.ن، ص35.

الذي جاءوا من اليمن، او هاجروا من سوريا بعد سقوط بيت المقدس[1] على يد تيتوس [2]. لذا قال ابن خلدون [3] ((جاء الاسلام، وكان منهم من تهود، ومن تنصر وآخرون مجوسا يعبدون الشمس والقمر والاصنام)) . وكان كثير من اهل المغرب يقدسون الجبال والعيون والاشجار وعبادة الحيوانات عبادة طوطمية [4], وسبب ذلك انهم كانوا زراع ورعاة وكانوا يتجهون نحو الديانة التي يعتقدون انها تحمي حقولهم ومحاصيلها[5].

لذا نشأت قوانين عرفية غير مكتوبة وعادات وتقاليد تتعامل بها الافراد والقبائل، ونظام يتحاكمون اليه سواء وضعه شيخ القبيلة، او الساحر، او الكاهن، ولايرضون بخبره، لذا لم يعرف المغرب قبل الاسلام تطور يسمح لهم بوجود نظام قضائي، او قضاة متخصصون يمكن للجوء اليهم لفض المنازعات والخصومات، فكان المتخاصمون يلجأون الى رجال ونساء في قبيلتهم عرفوا بالحكمة والدهاء وفصاحة الرأي واستخدام اساليب السحر والشعوذة في الحكم لحل الخصومات، فقد ذكر

(1) مادون، محمد علي، عروبة البربر الحقيقة المغمورة، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمركز العربي للتعريف والترجمة والتأليف والنشر، دمشق، 1992، ص107

(2) (تبتوس بن خسياسيان كان والده قدتوجه الى قمع الثورة اليهودية سنة 68م ,بتوجيه من الامبراطور الروماني نيرون، وفي سنة 68م توفي نيرون، واصبح خسياسيان الامبراطور فعهد الى ابنه تيتوس بالقضاء على حركة اليهود فشدد الحصار عليهم ولا سيما على القدس (اورشليم) وبعد خمسة اشهر سقطت المدينة فقتل بعضهم، ومن بقي على قيد الحياة اقتيد اسيرا الى روما)، طوني مخرج موسوعة المجتمعات الدينية في الشرق الاوسط. 1\ 55، 156

(3)ابو زيد ولي الدين عبدالرحمن بن محمد الاشبيلي، (ت808 هـ\1405م)، تاريخ ابن خلدون، اعتنى به درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1 , 1428 هـ\2007م، 2\123

(4) (هي ان يعتقد الانسان او القبيلة ان جده الاعلى نوع من الحيوان فيكون لزاما عليه حينئذ ان يحترمه ويقدسه ولا يقتله ولا يأكل لحمه ولا يضربه ولا يؤذيه ويسمى ذلك الحيوان طوطم، ومن الطواطم البربرية الافعى، البوم ,الحمام، الطاووس، القرد، القط، الضفدع) عبدالوهاب بن منصور قبائل المغرب، الرباط 1388هـ \1968م، 1\287.

(5)الهموندي، القضاء والقضاة ص30.

الرفيق القيرواني[1]اساليب السحر والشعوذة التي استخدمتها الكاهنة دهيا[2] في قيادتها للبربر لمواجهة الجيش العربي الاسلامي[3] . قال عنها ابن خلدون ((علم كانت لديها بذلك من شياطينها))[4] ((وكان لها من الكهانة والمعرفة بغيب وعواقب امورهم انتهت اليها رياستهم))[5] . ((وكانت اعلم اهل زمانها بالكهانة، وكان معها صنم عظيم من خشب تعبده يحمل بين يديها))[6].

وبذلك سيطرت على جبل الاوراس وخضع قومها لاحكامها والفصل في مصيرهم، فعندما ادركت بعد فترة من مواجهة الجيش العربي الاسلامي يدنو اجلها، عمدت الى حماية اولادها، وكانت قد اسرت خالدين يزيد العيسى في احد معاركها عمدت الى دقيق الشعير دخلت بزيت تسمى البسية ووضعته على ثديها، ثم دعت ابنين لها وخالد فأمرتهم فأكل ثلاثتهم وقالت لهم انتم اخوة[7].

---

(1) ابراهيم بن القاسم (ت ص 5\11م)، تاريخ افريقية والمغرب، وتقديم المجي الكعبي، الناشر رفيق السفطي، تونس ، 1986م، 55-56 .

(2) (دهيا بنت تيفان ملكة جبل الاواس وقومها من جرادة ملوك البتر وزعماؤهم). ابن خلدون تاريخ 2\1834 .

(3) الرقيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص 55-56 .

(4) تاريخ ابن خلدون، 2\1839 .

(5) م. ت، 2\2066.

(6) المالكي، ابي بكر عبدالله بن محمد (ت 499هـ\1057م) رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية وزهادهم وتساكم وسيرمن اخبارهم وفضائلهم واوصافهم، حققه بشير البكوش وراجعه محمد العروسي المطوي، دار الغرب الاسلامي، ط2 ,1414هـ\ 1994م، 1\52 ، الدباغ، ابي زيد عبد الرحمن بـ محمد الانصاري (ت 696هـ\ 1296م) معالم الايمان في معرفة اهل القيروان، اكمله وعلق عليه، ابو القاسم بن عيسى بن ناجي (ت829هـ\1425م) دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1، 1426هـ\2005م، 1\8 .

(7) المالكي، رياض النفوس، 1\52، الدباغ، معالم الايمان، 1\81، ابن ابي دينار، محمد بن القاسم الرعيني (كان حيا عام 1110هـ \1601م) المؤنس في اخبار افريقية وتونس، حققه وعلق عليه محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس، ط2، 1967م، ص31-47، السلاوي الناصري، ابو العباس احمد بن خالد (ت1315هـ\ 1897م)، الاستقصا لاخبار دول المغرب الاقصى، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1995، 1\56 .

وقيل كان في مدينة شقبنارية[1] كنيسة فيها مرآة صنعت من اخلاط عجينة اذا اتهم الرجل اهله بأحد نظر في تلك المرآة فيرى وجه الرجل المتهم، يقال انه كان هناك بربري من اهل الخير والصلاح، فاتهم ملك المدينة اهله بذلك البربري، فأوقف على ذلك الشهود واخذ البربري وقتله، فهجم اهله على الكنيسة وكسروا المرآة[2].

اما بعد تحرير المغرب تولى الولاة ادارة شؤون الولاية فكانوا مسؤولين عن الجيش والخراج والقضاء[3], فكان الولاة يحكمون بين الناس، فقد قيل عن الوالي عبيد الله الحبحاب (116-123هـ / 734-741م)[4] ((ينظر في دفتر القضاء، ويملي رسالة، ويأمر بحاجات من ناحية، ويأمر من خلال ذلك بالحكم بين رجلين متنازعين))[5].

بعد زيادة الاعباء على الولاة استحدث نظام قضائي له مؤسساته المهمة لاسيما في مركز المدن، وبدأت مسيرة النظام القضائي في الربع الاخير من القرن الاول الهجري، وذلك لانشغال العرب في عملية تحرير المغرب، وبلغ ذروة تقدم مؤسسة القضاء في القرن الثالث الهجري . ومع ذلك كانت هناك مجموعة من المعايير والمفاهيم المتفق عليها، او المنصوص عليها والمقبولة بشكل عام اصبحت عرفا، وتحولت انواع معينة من القواعد والعادات الى قانون، وربما يدخل تشريع تنظيمي لصياغة او انفاذ العرف، لاسيما في المناطق البعيدة عن مراكز المدن وفي المناطق الجبلية، وسنذكر بعض الامثلة ثم فيها فض النزاعات والخصومات وفق الاعراف السائدة في هذه المناطق . فقد لجأ

---

(1) (مدينة كبيرة فيها اثار عظيمة وهي على جبال اوراس) مجهول، كاتب مراكشي (من ق 6هـ\12م) الاستبصار في عجائب الامصار، نشر وتعليق سعد زغلول عبدالحميد، ص145 .

(2) م.ت

(3) (القضاء في اللغة ابرام الامر والفراغ منه، او انقطاع الشيء وتمامه فيكون القضاء بمعنى الصنع والتقدير، ويكون بمعنى الحتم والامر) ابن منظور، لسان العرب، 12\131. والقضاء اصطلاحا هو فصل الخصومات وقطع المنازعات وهو ولاية تنفيذ حكم شرعي مستند لولاية سلطانية. ابن الازرق. ابو عبدالله (ت 896هـ \ 1491م) .

بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، بغداد، 1397هـ\ 1977م، ص251.

(4)طه، عبدالواحد ذنون واخرون، تاريخ المغرب العربي دار المدار الاسلامي، ط1 ,2004م ,ص 134.

(5)الرفيق القيرواني، تاريخ افريقية، ص58 .

المتخاصمون الى رجال عرف عنهم حصافة الرأي والذكاء والتدين لحل مشاكلهم وفض النزاعات . فقد لجأ بعض الاندلسيين الى يزيد رباح بن يزيد بن رباح اللخمي (ت172/ هـ / 788م) وكان من الابدال، صالحا فاضلا وله كرامات، يشتكيه سعيد بن لبيد قد اخذ منه جارية، فذهب يزيد الى دار سعيد بن لبيد فلما خرج من داره قال له ((اردد على هذا الاندلسي جاريته ... فأخرجت فدفعها الى مولاه))[1] .

وكان عبد الله بن ياسين (ت430هـ / 1038م)[2] يحتكم اليه الناس وصدرت عنه احكام فمثلا اخذ الثلث من اموال (المختلطة) وزعم انها بذلك تطيب، وان الرجل اذا دخل دعوتهم وتاب عن سالف ذنوبه قالو له ((قد اذتنبت ذنوبا كثيرة فيجب ان يقام عليك حدودها))[3] .فيضربوه حد الزنا، وحد الافتراء، وان علموا انه قتل قتلوه سواء اتاهم نائبا طائفا . ومن يتخلف من مشاهدة الصلاة مع الجماعة ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة ضرب خمسة اسواط، فكان اكثرهم يصلون بخبر وضؤ اذا حان الوقت واعجلهم الامر خوفا من اجل الضرب [4].

وعرف عن صاحب قلعة بن حماد، حماد بن مناد الفراسة والفطنة والدهاء، والناس تحتكم اليه وتنفذ احكامه، فقد احتكم أليه رجل صحب أمرأته يريد القلعة, وفي الطريق صحبهم شاب على قدر من الجمال فتواطأ مع امرأة الرجل على أدعائهم الزوجية، فشكا الرجل الى حماد بن مناد, فسأله أن كان قد صاحب غير هذا الشاب معه, فأجاب الرجل ماصحبني غير ذيل الكلب وخرج معنا، فأصر حماد بربط الكلب الى شجرة، وطلب من المرأة ان تحل الكلب ثم تربطه فرش اليها الكلب، وأنس أليها أو طلب من الرجل ان يفعل الأمر نفسه، وفعل الكلب مثلما فعل مع المرأة،

---

(1)الدباغ، معالم الايمان ,1\216 .

(2)(بن مكوك بن سير بن علي الجزولي واصله من قرية تماما ناوت من طرف صحراء غانة، درس الفقه على يد وجاج بن زلوا وكلف بدخول مواطن المثمين لتعليمهم امور دينهم، وكان المؤسس الفعلي لعقيدة المرابطين). علي محمد محمد الصلابي، دولة المرابطين، مكتبة الايمان بالمنصورة، ط1 \ص37 .

(3)ابن عذارى، احمد بن محمد المراكشي (ت بعد 721هـ\1312م) البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب، تحقيق، ج بن كولان و أليفي بروفتسال . دار الثقافة بيروت، 2\16 ,17 .

(4) م.ن.

وعندما طلب من الشاب ان يحل الكلب ثم يربطه، أنكره الكلب ونفر منه فأمر حماد بضرب عنق الشاب، وترك امر المرأة الى رجلها [1].

فضلا عن ذلك هناك بعض الجماعات المغربية المسلمة نبذت الشريعة الأسلامية المدنية واحتفظت بقانونها العرفي، فكان شيوخ القبائل هم الذين يحكمون البربر في الجماعة منذ 15 الى 20 قرنا، يكونون جمعية مؤلفة من زعماء الأسر ذوات القرابة، ولا تزال كذلك حتى اليوم ولا الرئيس الذي اتخذته القبيلة زعيما وتلك هي الجماعة والشيوخ والقرارات في هذه الجماعات لا تؤخذ بالاغلبية بل بأجماع الحاظرين[2].

وهناك نماذج لهذه الحالات والأعراف، ففي مدينة حمنورية [3]. كان لهم رؤوس وشيوخ يديرون امرهم ويحكمون في خطالهم, وماوقع بينهم [4].

وكان شيوخ آزقار اعلم الناس ببلاد الغرب بالخط الذي ينسب الى دانيال النبي (عليه السلام)، وذلك ان الرجل منهم صغيرا او كبيرا اذا تلفت له ضالة، او فقدت خط لها في الوحل خطا فيعلم بذلك موضع ضالته فيسير حتى يجد متاعه كما ابصره في خطه، فأذا سرق الرجل الذي فقد متاعه ويقصد بعلمه الى موضع الخبية، فيستخرج ماضاع له، ويعلم مما خطه الرجل الذي تعد على أخذ متاعه، ويجمع اشياخ القبيلة فيخطون له خطا فيعلمون من ذلك البريء من الفاعل, وهذا عند المغرب مشهور .[5]

(1) مجهول، الاستبصار، ص169.

(2) الفردبل، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي حتى اليوم، ترجمة عن الفرنسية عبد الرحمن البدوي، دار الغرب الاسلامي، ط3 ، 1986، بيروت، لبنان، ص53 .

(3) كان لاهلها مدينتان عامرتان احدهما قمنوري واسم الاخرى نغيرا) الادريس. ابي عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن ادريس الحموي الحسني (ت من علماء ق6 هـ\12م)، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، عالم الكتب، بيروت، ط1، 1409هـ\ 1989م) 1\105 .

(4) م,ن.

(5) م.ن، 1\113 .

وفي مدينة تسكرلت [1]. وان كان قاضيا متصلعا من الفقه، يفصل في كل الاما يرجع الى النفاليس [2]. واحيانا كان ائمة المذاهب هم الذين يحكمون بين الناس، ففي دولتي الصفرية (140_296هـ \761_908م) اللتين قامتا على اساس الأمامة. فأن رأس الدولة اي الامام هو الذي يمارس وظيفة القضاء بنفسه حتى يمسك بزمام الأمور فكان يبت في الخصومات والمنازعات. ففي مدينة شروش[3] اهلها اباضية، وليس بها جامع ولا قيما حولها من القرى اكثر من 300 قرية، وليس لهم احد يرجعون الى امره، انما لهم شيوخ وفقهاء في مذاهبهم يرجعون اليهم[4].

والى الآن في بعض المناطق يعمل بالقانون العرفي ففي مدينة اديكيس ليس هناك قاضي ولا فقيه يفصل بين الناس في قضاياهم المدنية وانما يحكمون انفسهم كما يحبون، الا في المسائل الشرعية التي ينظر فيها الفقهاء واحزابهم [5].

واحيانا كان بعد بعض المناطق عن مراكز المدن يجعلهم لا يخضعون لأي قانون ولا شرع , بحيث اذا تورط احدهم في خصام، اذا كان لجريمة لزم عليه ان يسافر مسافة خمسة ايام او ستة ايام على الجمل ليصل الى خطة القاضي، ولا يأتي القضاة اليهم الا مكرهين، غير أن من يأتي منهم يتقاضى اجرا حسنا [6].

واحيانا اخرى كان في المدينة قضاة وفقهاء يرجع اليهم في الأمور الدينية، أما المسائل الدنيوية، فالقانون العرفي هو السائد . ففي مدينة تبيوت ان قتل رجل منهم اخر فأن تمكن اهل القتيل من الاقتصاص من القاتل كان بها. والا نفي القاتل لمدة سبع سنوات، وقد يبقى في المدينة رغم انف

---

(1) مدينة لها شيء من الاهمية، تقع على جبل عال وتحيط بها صخور شاهقة بحيث لا تحتاج الى سور) . الوزان، الحسن بن محمد الفاس المعروف بليو الافريقي، وصف افريقيا، ترجمة محمد حجي ومحمد الاخضر، دار الغرب الاسلامي، 1983، ط2، 1\104.

(2) (وهم الاعيان والضمان والشيوخ والعرفاء من سوس وكانو يتولون الفضل في الجنايات وبعض القضايا المدنية بحسب مافي الالواح)، م.ن، هامش(8).

(3) مدينة كبيرة قديمة فيها آثار للأول واهلها اباضية)، مجهول، الاستبصار، ص144.

(4) م.ن، ص145.

(5) الوزان، وصف افريقيا، 101.

(6) م.ن، 1\59 .

اهل القتيل واذا نفي القاتل تلك عقوبته، وعندما تنتهي مدة النفي يستدعي جميع الاعيان وعلى القاتل ان يتصالح مع خصومه [1].

واما في المناطق الجبلية، فقد كانت الأعراف والتقاليد هي الفاصل في فض النزاعات والخصومات لاسيما ان جبال المغرب كامل الفضاء الذي يمتد من شرق طرابلس الى بلاد الاندلس في العصور الاسلامية تكتسب اهميته في تاريخ المنطقة ولها اثرها الواضح في الاحداث الجسام التي عاشتها المنطقة [2]. والامثلة كثيرة على ذلك .

ففي جبل سمد من مراكش اذا جاءهم غريب وبات عندهم احاط به اكثر من خمسين رجلا يعرضون عليه قضاياهم كأنه قاضي او حاكم، واذا رفض ان يقضي بينهم، يحضر اليه الاعيان قائلين له : ((لعل يجهل سيدي عادتنا، وهي ان لا ينفصل غريب عنا قبل ان يدرس قضاياهم ويقضي بينهم)) [3]. وبعد ان يقضي بينهم يجلسوه تحت رواق المسجد وبعد اداء الصلاة يقدم كل واحد هدية ويقبل رأسه، [4] واما في جبل مرنيسة، كل امرأة اصابتها اهانة من زوجها مهما كانت ضئيلة فرت الى الجبال تاركة اولادها وتتزوج من رجل اخر، لذلك يحمل رجاله السلاح بسبب المشاجرات الدائمة. وان جنحوا للصلح, فلابد ان يدفع من تبقى المرأة عنده للزوج الأول ماأنفقه في زواجه، وهم متشددون في هذا الأمر.[5]

(1) م.ن 1\117.

(2) الفهري، عبدالحميد، التغيرات الاجتماعية في البلدان المغاربية عبر العصور، اعمال ملتقى دولي في التاريخ 23_24 نيسان سة 2001م، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية جامعة منتوري، قسنطينة، البربر الجبالية في العصور الوسطى.

(3) الوزان، وصف افريقيا، 1\131.

(4) م. ن .

(5) م, ن، 1\102، 189.

كما استمدت المضاربة الجبالية انظمة تربوية تظوعية في وادي ميزاب[1] على يد العزابة [2]. في جبل نفوسة [3].

ويعد نظام العزابة احدى اشكال التنظيم السياسي والاداري في الفكر الاباضي, وهي هيئة محدودة العدد تعمل وفقا لضوابط معينة للأشراف الكامل على الشؤون الدينية والاجتماعية والسياسية في المجتمعات الاباضية [4].

وكان من جملة شروط الانظمام اليه, والمهام الكبرى التي توكل اليه القضاء فيما يقع بين الناس من مشاكل والفصل في القضايا. وتأديب المجرمين وحفظ الاموال ومراقبتها والحراسة على احوال الناس، وكان الامام ابي عبدالله محمد بن بكر الفرسكاني (ت440 هـ \1048 م) اول من انشأ هذا النظام، وقام بنشر المذهب الاباضي وتنظيم حلقاته[5]. وتشكيل مجلس اعلى مهمته بسن

(1) (احد الاودية الموجودة في شمال افريقيا، ويقع هذا الوادي في ولاية غرداية وهو يمثل منطقة جميلة ويتكون من سبع مدن ولفظ ميزاب اسم آله و زوب الماء اي انحداره وانصبابه كالميزان وجرى تسمية القرى السيح ببتي ميزاب). مقدي، زكريا، اضواء على وادي ميزاب. ماضيه وحاضره، تقديم بحاز ابراهيم، ص25.

(2) الغرابة لغة تعني الغروب اي الاقطاع والانصراف للتعبد والعزلة، اما اصطلاحا فهي الانقطاع لخدمة المصلحة العامة بدأ بجبل نغوسة ثم انتقل الى كافة النواحي ليشرف على الاباضية، وهو نوع من الانظمة لجأ اليها شيوخ المذهب بعد سقوط الدولة الرستمية الاباضية). الجصبيري، فرحات، نظام العزابة عند الاباضية الوهبية في جرته، المطبعة العصرية، تونس، 1975، ص11_25.

(3)(وهي جبال بالمغرب بعد افريقية وهي جبال عالية نحو 3 اميال فيها مدينتين شروس وسط الجبل والاخرى جادوا ومن ناحية نفزاوة وهي مدينة جبلية) . ابن حوقل، ابو القاسم محمد (ت267هـ\977م)، صورة الارض ,دار صادر، بيروت 1938م ,ص 94.

(4) خليفات، محمد عوض، نشأة الحركة الاباضية، دار مجد الأولى، الاردن، ط1 ,1978, ص 22.

(5) الدرجيني، ابو العباس احمد بن سعيد (ت670هـ\1271م) طبقات المشايخ بالمغرب، تحقيق ابراهيم طلاي، البليدة الجزائر ,1974، 2\351.

التشريعات واختيار الاراء الفقهية التي يحكم بها القضاة، كما يقوم المجلس بالنظر في الأمور القضائية ويكون قراره ملزما ونهائيا [1].

وماتزال الاعراف والعادات القبلية في التحاكم وفض النزاعات والخصومات سائدة في المغرب، واصبح القضاء العرفي ازرف التطبيق الفعلي للعادات والاعراف التي نشأت تدريجيا من طرف افراد الجماعة ورضاهم لحل مشاكلهم اليومية تعبر عن ارادة المجتمع على الجماعة وليس ارادة السلطة الحاكمة في فض النزاعات وفقا للتقاليد والعادات والاعراف القبلية المعمول بها المسماة بأزرف [2].

ان خطر التحاكم الى غير الكتاب والسنة والى غير الشريعة يعد خطرا على الدولة وعلى القبائل وعلى الافراد، رغم اتفاق ازرف والشرع في الأصول، فأن الشرع اتخذ صيغة دينية سماوية لها قدسيتها، في حين أزرف لا يمتلك هذه القداسة، مما يؤثر على نسبة الأخذ والعمل بالشرع والعرف في مجالات عدة ففي مجال العقوبات الجنائية أزرف تعتمد على العقوبات بالمال (الغرامة) حسب حجم الأصابة، مما جعل ازرف والشرع في تباعد من هذا المجال، كما ان عقوبة الاعداد لا وجود لها عندهم واقصى عقوبة هب (ازوال) اي النفي وبصفة عامة [3] .

وخلاصة القول يمكن ان يعد التحكم مخرجا يلجأ اليه المتخاصمون كل قضاياهم، ويرتكز عنصر الالتزام فيه على موافقة الطرفين بالحكم الذي حسبما هو متعارف عليه من تقاليد واعراف متوارثة في القبيلة وفي المجتمعات، وهي تختلف حسب المجتمعات والقبائل والازمات، وكان مقبولا في الماضي ربما لم يعد كذلك بالمثل تختلف الأعراف من مكان لآخر، فالمقبول في احد المجتمعات ربما لايكون مقبولا في اخرى .

(1) الدرجيني، طبقات، 1\171، خليفات التنظيمات، ص 390.

(2) شبكية المعلومات الانترنيت، العلاقة بين العرف والشريعة .

(3) شبكية المعلومات الانترنيت ، التحاكم الى السلوم والاعراف القبلية .

تطور الفكر الاداري والاقتصادي في الادارة المحلية لكربلاء

أ.د. حسن علي سبتي الفتلاوي

ادت طبيعة الاوضاع السياسية والادارية التي عاشتها كربلاء خلال الحرب العالمية الاولى الى السعي الى ادارة الحياة الاجتماعية بما يحقق مصالح السكان بعيدا عن السيطرة العثمانية والبريطانية المستجدة على الساحة العراقية وقد حدث ذلك بعد الانتفاضة التي تمت في كربلاء في ايار 1916 والتي تبعها نقل القوات العثمانية من كربلاء الى منطقة الزاب في ديالى لصد هجوم روسي محتمل،[1] وهو ما وفر فرصة مناسبة لوضع جهاز اداري لأول مرة من أهل كربلاء وبقيادة محمد علي كمونة متصرفا على لواء كربلاء بعد ان سلمه اياها اسعد رؤوف بك .[2] فقام بتشكيل جهاز امني واداري وبخاصة من جباة الضرائب وبقية الموظفين الإداريين وقايا النزاعات الشخصية مع توزيع الاسلحة التي تركها الجندرمة العثمانيون على العشائر،[3] وقد شكل ذلك بداية لتولي متصرفين من ابناء المحافظة ادارة شؤونها سواء خلال ثورة العشرين وبعدها بعد ان استحوذت الادارات العثمانية على ادارة شؤون المحافظة ردحا طويلا من فترة احتلالها للعراق.

تجدد هذا العمل بعد اندلاع ثورة العشرين، اذ اجتمع الاهالي والوجهاء في بيت الشيرازي في 26 تموز 1920 للتداول في كيفية ادرة المدينة فاتفقوا على تشكيل المجلس الشعبي والوطني للقيام بحفظ النظام وجباية الضرائب وقد تكون من 17 شخصا منهم السيد عبد الوهاب الطعمة والسيد احمد الوهاب وحسن نصر الله ومثل السيد الحائري محمد حسن ابو المحاسن عزز ذلك بتشكيل مجلس علمي للاهتمام بأمر الثورة ونشر الدعاية ونشر الفتاوى الدينية.[4]

جاءت فترة العشرين بمجموعة من التغيرات في الساحة العراقية اولها تكوين المجلس التأسيسي و اقرار الدستور بعد عقد معاهدة 1922 وتطويرها بإضافة ملاحق لها عام 1924 وقد شهدت تلك

(1) عبد الرزاق الوهاب ، كربلاء في التاريخ, جـ3، بغداد، 1935، ص8.

(2) احمد باقر علوان الشريفي ، كربلاء بين الحربين العالميتين 1918-1939 دراسة تاريخية والنجف 196, ص 24، سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، بيسان ،بيروت ، 2000، ص 42-43.

(3) رزاق كردي، تاريخ كربلاء في سنوات الاحتلال البريطاني 1914-1921، رسالة ماجستير .المعهد العالي للدراسات العليا والتراث العلمي العربي، بغداد ص 38،

(4) سلمان هادي ال طعمة، كربلاء في ثورة العشرين، ص 62.

الفترة مرور الفكر السياسي لمنطقة الفرات الاوسط ومن بينها كربلاء بمرحلتين الاولى تمت عبر المعارضة السياسية للسياسة البريطانية في العراق بالسعي الى الحصول على الاستقلال والتخلص من السيطرة البريطانية دون مشروع واضح وبديل عن الدولة الاسلامية التي كانت ترغب بتأسيسها المجاميع الفقهية استمرارا مع معطيات الفكر السياسي الذي ساد مرحلة ما قبل السيطرة البريطانية على العراق متأثرين بطروحات الكثير من المفكرين العرب من امثال جمال الدين الافغاني وتلميذه محمد عبدة ورشيد رضا غير بعيد عما طرح في العراق من محاولات الاصلاح عبر طروحات الألوسيان في العراق ومحاولات الاصلاح التي طرحها كل من الزهاوي والرصافي والحبوبي غير بعيد عن الفكر السياسي الذي تمثل بالجمعيات والاحزاب السياسية التي ظهرت بالوطن العربي او في الدولة العثمانية ساعية الى تغيير الواقع السياسي والاجتماعي باتجاه المشاركة السياسية او التخلص من الهيمنة العثمانية وتحقيق شخصية عربية مستقلة ضمن الدولة لعثمانية كما هي الحال مع جمعية الاخاء – العربي العثماني او طروحات مؤتمر باريس لعام 1913 او ظهور جمعيات سياسية تدعوا الى التخلص من الهيمنة العثمانية وارثها السياسي والاجتماعي بما فيه من تخلف وضعف وهيمنة واستلاب للشخصية العربية واعادة تفسير للإسلام السياسي بما يتناسب مع مصالح الدولية العثمانية.

هكذا ظهرت في كربلاء والنجف طروحات تدعوا الى تبني اسلام سياسي بديلا مضادا عن السيطرة البريطانية- المسيحية التي تذكر بالحملات الصليبية غير بعيد عن الصراع السياسي والعسكري والفكري الذي حصل مع البريطانيين خلال الحرب العالمية الاولى او بعدها عبر الثورات التي حصلت في البداية في النجف ثم قيما بعد في ثورة العشرين وغيرها من الصراعات التي تمت في نقاط التماس بين الجانبين.

بدت ملامح ظهور فكر سياسي ديني في كربلاء والنجف وغير من المراكز الدينية في العراق ردا على التحديات البريطانية المباشرة والتي تمثلت بفرض الاحكام العرفية او التطبيقات الادارية التي كانت غريبة عن القيم والاعراف والتقاليد التي اعتادتها المدن العراقية حتى خلال الحكم العثماني اذ كانت الاختلاف مع الجانب العثماني في اغلبه يكون في الطابع القسري والاستعلائي والاختزالي في التعامل مع المجتمع العراقي في تفصيلاته المتعلقة بالتكوين الفكري والتوجهات المذهبية والتطلعات الشخصية في التكوين الاداري وتحقيق الشخصية الفردية والجماعية لتفرعات المجتمع العراقي .

جاء ذلك المشروع الاسلامي للمدن الدينية الشيعية بعموميات توجيهية اكثر مما هي تحديثية أي دون احاطة كلية بتفصيلات نظام سياسي متكامل يشمل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع السياسية وقد حدد تلك الصورة الخارجية لتلك الفكرة مجموعة عوامل كم ابرزها :

1- غلبة العنصر الاعجمي على الحوزة العلمية بما حصر عملها في التعامل مع المعاملات والعبادات دون الغوص في اطار بناء فكري يتمثل تحديد مسارات العمل السياسي والفكري في عراق ما بعد التخلص من السيطرة البريطانية .

2- تخلف البنى الاقتصادية والاجتماعية للبيئة العراقية قياسا ومقارنة مع ادوات العمل البريطاني في مجال الادارة او العمل السياسي والعسكري .

3- قصر فترة الفراغ السياسي الذي حصل بين الخروج العثماني والدخول البريطاني بما لم يعط فسحة من الوقت لتكوين اطار فكري بديل عن الارث العثماني الاداري والسياسي والاقتصادي.

4- ادى غياب تجربة حكم اسلامية ناضجة في العالم الاسلامي الى استخدام اسلوب التجريب أي التكوين التراكمي في بناء تجربة سياسية قائمة على اساس الخطوة خطوة في التعامل مع التحديات الداخلية في البناء الاداري ومعالجة اشكالات المجتمع خارج اطار المعاملات والعبادات التقليدية التي تشكل عصب العمل التقليدي لعلماء الدين.

ادت تلك العوامل مجتمعة وغياب القدرة الحركية بعيدا عن الاستعانة بالقوة القبلية ذات البناء الاجتماعي الرصين والتكامل الاقتصادي الداخلي المعتمد على تحقيق الحاجة الاساسية ضمن القبيلة نفسها او التكامل مع المحيط الإجتماعي القريب منها قبل تحول الى العراق الى إقتصاد السوق ودخوله العالم الرأسمالي بعد السيطرة البريطانية عليه.

ادى افتقار المشروع الديني الاسلامي لمدن كربلاء والنجف الى توسيع مدارك وموارد الفكر السياسي القائم عبر الاستعانة بالتجربة العربية الممثلة بالتجربة المصرية لمحمد علي باشا والاقليمية وبخاصة ما حصل في تركيا بعد تحلل الامبراطورية العثمانية مع السعي الى تجاوز البناءات الادارية والسياسية التقليدية والموروثة خاصة بعد ان فرضت التجربة التاريخية القائمة ضرورة عدم تجاوز عناصر القوة لدى الخصم الغربي والممثل في العراق بالسيطرة البريطانية وعناصر قوتها التي اتضحت بشكل واضح في الحرب العالمية الاولى او فيما عبر استخدام اسلوب الترهيب ضد الاهالي وهو ما طرح ضرورة التعامل بواقعية مع الوجود البريطاني في العراق واتخاذ الاسلوب الوسط في التعامل

مع متغيرات الواقع واستنفاد وسائل التعبئة والتعامل بأساليب الكر والفر مع القوات البريطانية بعد ازدياد الفرق بالقوة بين الجانبين بعد تطور استخدام الطائرات في ملاحقة الثوار وتتبع المقاتلين.

ظهرت اولى ملامح الواقعية في ادراك مغيرات الواقع العراقي في تعهد المنفيين بالعودة شرط الابتعاد عن التعامل مع السياسات الحكومية وهو نفسه الذي طرح الحاجة الى طرح بديل اكثر نضجا عن العمل المباشر في الرفض والتحريم خاصة بعد شعور العلماء بضعف موقفهم من جهة وحاجتهم الى العودة الى المدن الدينية لمواصلة اعمالهم التقليدية واستمرار النظر في عيوب الواقع العراقي دون المساس بشرط التعهد بعدم التدخل بالسياسات الحكومية.

طرح ما سبق ضرورة تجاوز الجزئية في التعامل مع الحياة السياسية من هنا طرحت الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والتقنية في العمل السياسي،[1] وذلك ما دفع بعض الاسلاميين من هنا جاء طرح العمل السياسي من بوابة الاحزاب السياسية كما حصل برعاية الخالصي للحزب الوطني ودعم محمد الصدر لحزب النهضة ،[2] للمشاركة في صنع القرار السياسي ومعارضة السياسيات المضادة لمصالح الشعب العراقي مع القيام بتطوير البنى الفكرية والثقافية للحوزة ومؤسساتها في النجف وكربلاء سواء عبر تطوير مناهجها او تطوير قاعدتها الفكرية كالمكتبات والمطابع وما يتصل بها من دور نشر وتوعية والحركة الادبية من شعراء وخطباء وتوسيع عدد المبلغين والمشاريع الاجتماعية والخيرية والثقافية المهتمة بقضايا التربية الاجتماعية وتطوير القدرات الفردية والجماعية في ظل الغزو الفكري والاجتماعي للبريطانيين ،[3] مع القيام بتأسيس مدارس اسلامية على غرار المدارس الحكومية في كربلاء والنجف وبغداد والبصرة وغيرها من مدن العراق الاخرى ،[4] بعد ان قامت السلطات البريطانية بافتتاح مدرسة ابتدائية في مدينة كربلاء في 15 نيسان تضم 70 طالبا تتروح اعمارهم بين 7-14 باربعة صفوف ومدير وستة معلمين مع مدرسة للبنات في 2حزيران

(1) البرت م. منتشاشفيلي ، العراق في سنوات الانتداب البريطاني، ترجمة هاشم التكريتي ،ص 169.

(2) على الوردي ،لمحات، جـ6، ص 186' محمد مهدي البصير، القضية العراقي، ج2 ، ص 450-451.

(3) نور الدين الشاهرودي ، تاريخ العلمية في كربلاء ، ط1 ،بيروت ،1990، ص196. محمد جواد مالك ،المصدر السابق ، ص742.

(4) محمد جواد مالك ،المصدر السابق ،ص 744.

من نفس السنة ضمت عشرين طالبة بصفين فقط وملاكها مديرة ومعاونة فقط وكانت هذه المدارس تعلم اللغتين العربين والانكليزية والرياضيات والجغرافية والتاريخ والتربية الدينية.[1]

ولان السلطات البريطانية سعت الى تطوير سياستها لاستيعاب تطور الوعي الوطني في العراق فقامت بتوقيع معاهدة 1927 مع العراق بعد اتباع سياسة خذ وطالب من الملك فيصل والتي جاءت بعدها معاهدة 1930 والتي دخل العراق عصبة الامم كدولة مستقلة .

انعكست التطورات الفكرية وتطور البنية الاجتماعية العراقية في طبيعة المواقف الشعبية تجاه التطورات السياسية في العراق فبعد ان كانت المرجعية الدينية تستند الى العشائر في تعزيز بنيتها التنظيمية واعطائها الطابع الحركي في التعامل مع الاحداث ضغطا وتحشيدا ، تحول الامر الى التوجيه الفكري ونشر المراكز الدينية في مناطق العراق المختلفة بعد ظهور قوى اجتماعية جديدة تمثلت باتساع طلبة المدارس الرسمية بمستوياتها المختلفة ونمو المجتمع المدني بعد اتساع الاشكال التنظيمية للدولة في مجالاتها الادارية والاقتصادية والاجتماعية وهو ما لم يكن في مجموعه مواليا وملائما لتوجهات المرجعية بعد تبني الادارة البريطانية سياسة دعم الاقلية بتسليمها الحكم وتحويل الاغلبية الى قوى ضاغطة على المجتمع السياسي .

سعت الحكومة بعد استيعابها للإرث العثماني في التعامل مع المرجعية الدينية بشكل استعلائي من جهة وتحجيم القوة القبلية عبر قمع ثورات العشائر بعيدا عن الطابع التقدمي للتوجهات الحكومية او المطابع العشائرية وهي غالبا ما تتعلق بمشاريع زراعية وتنمية ريفية اساسها نظام الري او مشاكل تتعلق بالاستحقاقات السياسية والادارية ، لكن النتيجة النهائية كانت وضع المجتمع المديني المتنامي بيروقراطيا او في تنشيط العمل الانتاجي الصناعي والحرفي بعد فك الارتباط بالاقتصاد العثماني مع الافادة من التقنيات واطر الاستثمار المقتبسة من المركز الامبراطوري في لندن بعد توثق العلاقات بين العراقيين والامبراطورية البريطانية ومركز و أوربا الصناعي او في اطرافها التي خطت خطوات واضحة في التقدم الصناعي والزراعي كالهند والدول والاقليم التي اثارع رغبة الطبقة البرجوازية العراقية علاقاتها في تعزيز علاقاتها معها رغبة التطور الاقتصادي عبر نقل الخبرة

(1) عبد الرزاق الهلالي ،تاريخ التعليم في العراق في العهد الاحتلال البريطاني 1914- 1921، بغداد ، 1975 ، ص 165-166 . :رزاق كردي حسين العابد ،المصدر السابق ، ض 79.

الصناعية او الحصول على المنافع عبر أشكال مختلفة من التبادل التجاري والعمل الحرفي والاستثماري .

لم تكن كربلاء بعيدة عن تلك التطورات ـأذ ادت مجموعة التطورات الفكرية والسياسية التي حصلت فيها من بينها اتساع حجم الطبقة المثقفة نتيجة انتشار المدارس الحكومية والاسلامية وازدياد الحركة الفكرية والثقافية بعد ازدياد عدد المطابع ودور النشر مع اتساع المجتمع البرجوازي على حساب الريف الذي بقي يحتل مرتبة ومتقدمة على المدينة مع وجود عوامل تلاقح ثقافي من بينها كثرة الوفود العليم والنشاط التجاري سواء في المواسم الدينية ام لأغراض الدراسة .

ساهمت مراجعة الحركة الاسلامية لبرامجها في تعديل واضح في برنامج معارضتها لعلاقة الحكومة العراقية مع بريطانيا في تشذيب تلك المعارضة لتتركز في اطار تعديل الجزئيات التفصيلية لبرنامج التحالف المطروح بين الحكومة العراقية وبريطانيا وليكون جزءا من المعارضة السياسية ضد دعاة ومناصري المشروع البريطاني في العراق بعد ان كان ضد العلمية السياسية برمتها بما في ذلك الملك والذي شكل مركز إسناد وثقل في تكوين النظام السياسي العراقي واستمراره المستند بالأساس الى خارطة سياسية صنعتها بريطانيا وفق نظام محالفات كان احد ابرز اركانها الملك فيصل.

نشط ذلك الاتجاه مجددا في معارضة السياسات الحكومية بعد ظهور ملامح تطور واضح في طبيعة الوضع العراقي وامكانية تحوله الى دولة مستقلة بعد معاهدة 30 حزيران / 1930 وقد ظهر ذلك بشكل واضح بعقد مؤتمرات عشائرية في نهاية 1930 وبداية 1931 معارضة لحكومة نوري سعيد.[1]

حظيت تلك المعارضة بمساندة الملك فيصل جزءا من سياسته في تدعيم وجوده السياسي وقدرته وحريته في العمل السياسي لتحقيق مصالحه وتطوير مشروعه في الادارة السياسية والاجتماعية والاقتصادية عبر تحقيق توازن بين الضغوط البريطانية وتحشيد القوى السياسية العراقية

(1) تزامنت تلك الاضطرابات مع توقيع المعاهدة وحدوث صراع بين المناصرين لبريطانيا والداعين الى استمرار التحالف معها مقابل وجود فئة تسعى الى الحصول على الاستقلال الناجز ، اذ مع ان المعاهدة حققت للعراق ما كان يصبو اليه من تطلع الى تحقيق الاستقلال عبر الانضمام الى العصبة كدولة مستقلة في تشرين الثاني / 1932، الا انها بالمقابل اعطت المعاهدة لبريطانيا حق استخدام الاراضي والمطارات وطرق المواصلات في حالة الحرب والسلم .

لمقاومة السياسات البريطانية مع موازنة مرنة بين المطالب الوطنية والمصالح البريطانية وهو ما عرف بسياسة خذ وطالب .

وفق السياسة تلك اتصل الملك فيصل بعدد من اركان المعارضة السياسية في كل من كربلاء والنجف وبابل لتحشيدها ضد المعاهدة كما طرحت من قبل نوري سعيد بإيحاء وتنسيق مع الادارة البريطانية ولم يكن قصد الملك بالتأكيد تأزيم الموقف مع بريطانيا بل الحصول على اكثر ما يمكن الحصول عليه حقوق عراقية تتمثل بتحقيق السيادة وادارة ملفات الدولة المختلفة في جوانبها السياسية والاقتصادية والاجتماعية مقابل تنازلات بريطانية جزئية عن بعض المصالح وبخاصة ما يتعلق بالقواعد العسكرية والاشراف على السياسات الحكومية .

ادت سياسة الملك فيصل وتصاعد الوعي الجماهيري بالمطالبة بالحقوق السياسية خاصة بعد استقالة وزارة ناجي السويدي في 9 اذار / 1930 نتيجة عدم قدرة الوزارة على تلبية المطالب الجماهيرية الى تصاعد الاجتماعات الجماهيرية سواء في بغداد او غيرها من المدن العراقية ، وقد ظهرت بوادر المعارضة السياسية لسياسة الحكومة والهيمنة البريطانية على القرار السياسي العراقي منذ 13 أذار عندما استنكر اهالي كربلاء هيمنة الادارة البريطانية على الحكومة العراقية وتصلبها في فرض شروطها على الحكومة العراقية وعبرت عن تلك المواقف عبر برقيات الى الملك والصحف ومنها صحيفة العالم العربي داعية الى التخلص من السيطرة البريطانية على السياسة العراقية،[1] كما شاركت مجاميع من كربلاء في الاجتماع البارز الذي عقد في جامع الحيدر خانة الذي عقد في 21 اذار/ 1930.

حضرت الاجتماع وفود من مدن العراق المختلفة من بينها وفد حضر من كربلاء ،[2] وقد تم رفع شعارات وطنية متجاوزة للطائفية وداعية الى ترسيخ الوحدة الوطنية وتحقيق الاستقلال الناجز ومن بين الشعارات (ليحيا العراق مستقلا) و(ارادة الامة فوق الجميع)، وتم ارسال برقيات احتجاج على طبيعة السياسة البريطانية في العراق الى كل من الملك فيصل ومجلس النواب والاعيان وعصبة الامم والمندوب السامي البريطاني والصحف البريطانية داعية فيها تلك الجهات الى رفع سياسة

(1) العالم العربي (جريدة)، 22 اذار / 1930.

(2) سعيد رشيد زميزم ، لمحات تاريخية عن كربلاء ، ص 54.

التكتيم على مطالب الشعب العراقي ومطالبين بتبديل جوهري لطبيعة السياسة البريطانية تجاه العراق .[1]

سعى الملك فيصل الى استيعاب التطلعات الجماهيرية عبر تغيير معاهدة 1927 الى معاهدة جديدة تطور العلاقة باتجاه المزيد من الصلاحيات للحكومة العراقية دون الاغفال الكامل للمصالح البريطانية لذا اوعز الملك الى نوري سعيد المقرب من الادارة البريطانية الى تشكيل الحكومة الجديدة التي تقع على عاتقها وضع معاهدة ممكن ان تسترضي الشعب العراقي والجانب البريطاني بالتوافق بين كل من المندوب السامي البريطاني فرنسيس همفريز F.H. Hamphrys والملك فيصل وقد شكل الحكومة نوري سعيد في 23 اذار / 1930، لتقوم المعاهدة باسترضاء الشعب العراقي بإعطائه الاستقلال ولو الشكلي عبر دخوله عضوية عصبة الامم كدولة مستقلة دون اغفال المصالح البريطانية في العراق منحه حق اقامة القوعد العسكرية ونوعا من الاشراف على سياسية العراق الخارجية .

وبالنظر لارتباط السلطة التشريعية بالتنفيذية والرغبة في تمرير المعاهدة بسهولة في مجلس النواب قام وري سعيد بحل مجلس النواب والقيام بانتخابات جديدة في 1 تموز لضمان الحصول على الاغلبية الموالية للحكومة لتمرير المعاهدة وفعلا تمت الانتخابات في 10 تموز بعد ان اسند نوري سعيد لنفسه حقيبة وزارة الداخلية لضمان السيطرة على العلمية الانتخابية وتزويرها لصالح مشروعه السياسي الممثل بالمعاهدة ،[2] ولزيادة قدرته على المناورة السياسية وكسب الاتباع من طلاب المناصب السياسية شكل حزب العهد لإسناد موقفه السياسي.

وهو ما يدلل على مجموعة من الاعتبارات من ابرزها :

1- هيمنة السلطة التنفيذية على السلطة التشريعية في العراق عكس قاعدة العمل للأنظمة البرلمانية في العالم .

2- جاهزية الاجهزة الانتخابية في تزوير الانتخابات وفق رغبة الحكومة القائمة .

(1) عبد الرزاق الدراجي ، المصدر السابق ، ص 257.

(2) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، جـ 3، ص 70، 78-88.

3- تحدد دائرة صنع القرار السياسي بحلقات ضيقة صغيرة لاتتعدى الاحزاب البرلمانية الشخصيات البارزة من زعماء قبائل أو اغنياء مدن.

4- سرعة تبدل الولاء السياسي لأغلبية القيادات السياسية حسب المصالح الانية .

استطاع نوري سعيد تشكيل حزبه والحصول على الاغلبية النيابية لوجود بعض الانتهازيين ممن ساندوا سياسة نوري سعيد، الا ان الكثير من القوى الوطنية عدت توقيع المعاهدة تجديدا للنفوذ البريطاني في العراق وشرعنة له، إذ وصفت الصحف المعارضة المعاهدة باستبدال الاحتلال المؤقت بالاحتلال الدائم، إذ كتبت صحيفة العالم العربي ان المعاهدة "اضاقت الى الاثقال والقيود الحالية قيودا واثقالا اشد وطأة"[1]

بعد تصاعد المعارضة التي اشتدت في كربلاء والنجف اوعز نوري سعيد لمتصرف كربلاء بقمع المعارضة والتضييق عليها مع تسخير جريدة صدى العهد الموالية لنوري سعيد بالتشهير بالشخصيات المعارضة له هناك .[2] وقد تجددت التظاهرات وتحولت الى اعتصام في كربلاء وبغداد والحلة والنجف بين الخامس والرابع والعشرين من تموز/ 1930 .[3]

وبالنظر لأهمية التنظيم في التعبير عن رغبات الشعب العراقي انضم الكثير من الوطنيين من بغداد والفرات الاوسط ومن بينهم زعماء من كربلاء الى الحزب الذي شكله ياسين الهاشمي بحجة الدفاع عن حقوق العراق وسيادته ورفض المعاهدة مع ان ياسين الهاشمي لم يكن اقل انتهازية بحثا عن المصالح الشخصية من نوري سعيد ،لكن ضيق مجال العمل وعدم وجود خيار ناضج امامهم الجأهم الى الانضمام الى هذا الحزب .

وفي ليلة 22-23/ تشرين الثاني1930 اتحد حزبا الوطني والاخاء جبهة معارضة للحكومة وللمجلس النيابي الذي يساندها إذ استندت تلك الجبهة الى :

1. ان معاهدة 1930 معاهدة فاسدة وجائرة ويجب تعديلها .
2. يجب حل المجلس النيابي القائم لانه جاء بالتزوير ولا يمثل البلاد.

(1) العالم العربي، (جريدة)، 18 تشرين الاول/ 1930 .

(2) عبد الرزاق احمد النصيري ، المصدر السابق ، ص222 -224.

(3) خالد التميمي ، محمد جعفر أو التمن دراسة في الزعامة السياسية العراقية، ص 298-313.

3. على الوزارة التي من الممكن ان تحل محل وزارة نوري سعيد القائمة يجب ان تعمل على تنفيذ البندين الاول والثاني .[1]

عمل الحزبان على تصعيد المعارضة النيابية والشعبية ضد المعاهدة وقاما بتنظيم الاجتماعات المشتركة وبالتناوب لكن تلك الاعمال لم تؤثر على عمل تنفيذ المعاهدة وتقلص نشاط الحزبين نتيجة ملاحقة اجتماعاتهما من قبل القوى الامنية .[2]

بعد ازدياد الملاحقة الحكومية لاجتماعات ونشاطات الحزبين ضد المعاهدة قررا الابتعاد عن العاصمة بغداد والذهاب الى كربلاء للإفادة من المد الجماهيري فيها والحصول على دعم المرجعية الدينية وزعماء العشائر وعقد اجتماع جماهيري موسع في كربلاء في 5كانون الثاني/ 1931 لتوسيع المعارضة المعاهدة وسياسة نوري سعيد .

بدأت الرحلة من الحلة حيث لقي الوافدون حفاوة بالغة دللت على التعاطف الجماهيري الكبير مع الحركة الوطنية ومطالبها التحررية ورفض الهيمنة البريطانية وتمت استضافتهم في دار احد وجوه الحلة الاجتماعية هو السيد محمد سامي غادروا بعدها الى كربلاء في صباح اليوم التالي وقد استقبلتهم الجماهير المحتشدة بحفاوة وتأييد واضح يدلل على الرغبة في اعادة الدور التنظيمي لكربلاء ودورها الريادي في الحركة الوطنية مع استمرار رغبة الكثير من زعماء الحركة الوطنية في كربلاء المساهمة في توجيه الدور الوطني وقيادته للتخلص من السيطرة والهيمنة البريطانية مستغلين التذمر الشعبي من طبيعة السياسة البريطانية تجاه العراق وطريقة ادارة الساسة المقربين من بريطانيا للملف السياسي العراقي سواء في النظرة الى الحياة الاجتماعية والاقتصادية او في العلاقات العراقية الدولية والسعي الى ربط العراق بتحالف وثيق ببريطانيا ممكن ان تعطل الريادي في المنطقة وتشل قدرته على التحرك السياسي المستقل .

بعد وصول الوفد الى كربلاء واللقاء بالمحتشدين واداء زيارة المرقدين الطاهرين للإمام الحسين عليه السلام اخيه العباس توجهوا الى دار عمر العلوان، حيث عقد اجتماع في الدار بحضور "جموع

(1) نداء الشعب (جريدة)، 23 تشرين الثاني/ 1930؛ عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، جـ 3، ص 90.

(2) عبد الامير العكام ، المصدر السابق ، ص 372.

اهالي كربلاء، فألقى بعض اعضاء الحزبين ووجوه المدينة الخطب السياسية في المجتمعين "كما يورد ذلك السيد محمد مهدي كبة في مذكراته .[1]

صاحب ما سبق احتشاد الكثير من جماهير كربلاء وقدوم بعض الساسة وزعماء العشائر وشخصياتها المهمة الى محل تواجد الوفد ،[2] للتعبير عن تضامنها مع مطالب الحركة الوطنية في التخلص من الهيمنة البريطانية ولتعزيز موقف هؤلاء الساسة باعتبار القبائل هي القوى الاساسية التي يعول عليها في مقاومة سياسة الضغط البريطانية .

بالنظر إلى حراجة الموقف السياسي للقوى الوطنية ورغبتها في تجنب صراعات دموية ممكن ان تتسبب بخسائر مادية وبشرية لاموجب لها في ظل الاستجابة للمطالب الشعبية، عرضت وجهاء العشائر والمدن على هيأتي الحزبين تقديم التماس الى الملك فيصل بعدم المصادقة على المعاهدة لأنها لا تلبي طموحات الشعب العراقي معززين ذلك الموقف بتقديم الكثير من المضابط الى الهيأتين تتضمن رفض المعاهدة.[3]

من النظر الى طبيعة المعارضة ونوعية القوى السياسية المضادة لها يبدو ان موقف تلك القوى لا يخلو من التحامل ويحتاج الى نوع من الموضوعية ودقة النظر الى الظروف الموضوعية التي ادت الى طرح تلك المعاهدة ومن اول تلك الظروف السعي البريطاني الى مشاركة عراقية اوسع في العملية السياسية في ظل نمو متسارع للمجتمع المدني وتطوره الاجتماعي وبالخصوص في مجال التعليم ونمو المدن مقابل تراجع نسبي للمجتمع الريفي مع اتساع قدراته الانتاجية خاصة بعد بدء تصدير النفط العراقي وان كان في البداية بكميات قليلة لا تلبي طموحات القوى الوطنية التي سعت الى توظيفه لخدمة العلمية التنموية غير بعيد عن توسع في القدرات العسكرية العراقية التي من الممكن ان تكون البديل الوقعي المضاد للقوى العشائرية في حال حصول التضاد بين السياسات الحكومية والارادات الوطنية المضادة لها .

يصب في ذات الاتجاه ظهور قضايا مصيرية تمس الوجدان العراقي والعربي والاسلامي وهي قضية تزايد الهجرات الصهيونية الى فلسطين وهو ما اربك المكانة السياسية لكل من الطبقة العراقية

(1) محمد مهدي كبة ، مذكراتي في صميم الاحداث 1918-1958 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1965، ص 49-50.

(2) عبد الامير العكام ، المصدر السابق، ص 372.

(3) د.ك. و، البلاط الملكي ، الاحزاب السياسية، ملفة رقم 1205 ، و 26.

التي ربطت مصالحها السياسية ببريطانيا غير بعيد عن التوافق مع الارادة السياسية الرسمية التي استندت واقعيا الى معايير الفارق في القوة والقدرات الاقتصادية بين بريطانيا وتحالفاتها الدولية والإقليمية وبخاصة مع الحركة الصهيونية مقارنة بضعف العراق ومحيطه العربي وتأثير ذلك على الادارة البريطانية التي وقعت بين ضغطين داخلي عراقي يتمثل بسعي الفئات العراقية المثقفة بموازنة المبادئ الدستورية والقانون الدولي ومصطلحات السيادة وحق تقرير المصير بالممارسة الواقعية للسلطة في العراق وضغوطات الواقع الاقليمي والدولي وبخاصة ما يتعلق بالقضية الفلسطينية وتطور نشاط الحركة الصهيونية التي بدأت تتخذ انماطا متصاعدة من الصراع وهو ما حمل الادارة البريطانية مسؤولية كبيرة في ما يحصل في فلسطين خاصة بعد نشر وعد بلفور وما ترتب على وقوع فلسطين تحت الانتداب البريطاني .

التقت وجهات نظر مواقف القوى المجتمعة على توقيع مضبطة مشتركة تضمنت رفض المعاهدة والسعي لإسقاط الحكومة السعيدية التي وقعتها والمجلس النيابي لعدم مشروعيته ،[1] ليس لأنه جاء بالتزوير وهي حالة عامة في المجالس النيابية العراقية خلال تلك الفترة بل لأنه ساند المعاهدة وقام بتمريرها .

عادت هيئتا الحربين الى بغداد بعد ان قام كل من ياسين الهاشمي وجعفر ابو التمن مع احد عشر عضوا من الحزبين بجولة تحشيد لموقفه السياسي من المعاهدة في مدن الفرات الاوسط ، [2] قدم جعفر ابو التمن وياسين الهاشمي عريضة احتجاج الى الملك في 11 كانون الثاني / 1931 جاء فيها وصف لرحلة هياة من الحزبين المتأخيين في مدن الفرات الاوسط والتي شملت كربلاء والنجف والكوفة والحلة وعقدت مؤتمرا لها في كربلاء ناقشت فيه المعاهدة مع اعيان المدن ورؤساء القبائل وجماهير تلك المناطق مع التعبير عن الاستياء من منع القوات الامنية لهم بمواصلة جولتهم لتشمل مدنا اخرى داعين الملك الى التدخل باستخدام صلاحياته الدستورية والسياسية في عدم المصادقة عليها والدعوة الى اعادة النظر بها معززين طلبهم بالمضابط التي رفعت من سكان كل من الحلة وكربلاء والنجف والكوفة ضد المعاهدة والوزارة التي وقعتها .[3]

(1) عبد الامير العكام ، المصدر السابق ، 372-373.

(2) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ العراق ، جـ 3، ص 90.

(3) د.ك. و ، ملفات البلاط الملكي ، الاحزاب السياسية ن ملفة رقم 1205 ، و 10 .

لم يكن الملك مع المعاهدة بشكل حاسم وكامل بل كان مع بعض المواد التي ضمت للعراق الاستقلال ولو الاسمي الذي كان الملك ينتظره بفارغ الصبر للحصول على فسحة من الصلاحيات الدستورية التي من الممكن ان تطلق يده في العمل السياسي الداخلي وفي العلاقات الاقليمية والدولية، لكنه ايضا ضد الامتيازات البريطانية في العراق والتي ضمنتها بريطانيا عبر البروتوكول الملحق بالمعاهدة، لكن وضعه السياسي وقدراته الاقتصادية والسياسية المحدودة جعلته يدور في فلك التوازن بين مطالبة السياسية والرغبة في تغييرها باتجاه وانتزاع المزيد من الحقوق و الصلاحيات من البريطانيين ، لذا كان الملك في موقف الرغبة في تحقيق التوازن بين المطالب الشعبية وعدم الخروج على المصالح البريطانية لذا قام بجولة في نيسان/ 1931 لإقناع الاهالي ورجالات السياسة من وجهاء ونخب وزعماء قبائل بضرورة عدم تأزيم الموقف السياسي مع رغبته بإشعار البريطانيين بوجود رغبة شعبية في التخلص من سيطرتهم ليس لتعزيز سلطاته بل ايضا لطرح نفسه كان المدافعين عن المصالح البريطانية في العراق والمنطقة، فزار كل من كربلاء والنجف والحلة في 13 نيسان برفقة محمد الصدر رئيس مجلس الاعيان وعبد الحسين الجلبي وزير المعارف .[1]

رافقت تلك الزيارة اجراءات امنية تعسفية ضد القوى والشخصيات الوطنية عبر دفع تلك الشخصيات بدفع كفالات بعدم القيام بالتظاهر وزج الممتنعين عن تقديم الكفالة في السجون ، لكن رغم تلك الاجراءات استطاعت فروع الاحزاب الوطنية في الفرات الاوسط وبخاصة في كربلاء تقديم عرائض تضمنت المطالب الوطنية ومنها :

1. حل المجلس النيابي وانتخاب مجلس جديد يحظى بالقبول الشعبي.
2. السعي الى تعديل معاهدة 1930 بما يحفظ للعراق حقوقه .
3. اطلاق الحريات العامة بما يتوافق مع حقوقه الدستورية .[2]

تبع ما سبق قدم الحزب الوطني الذي كان له نفوذ واضح في الفرات الاوسط وبخاصة في كربلاء احتجاجا الى وزارة الداخلية في 15 نيسان ضد اعتقال بعض اعضائه ومؤيديه وبخاصة من سكان كربلاء وهم كل من عبد القادر اسماعيل والشاعر محمود الحبوبي ورؤوف الحبوبي وتقي

(1) د.ك. و ، ملفات البلاط الملكي ، الاحزاب السياسية ، ملفة رقم 1205 ، و 10 .

(2) عبد الرزاق الحسني ، تاريخ الوزارات ، جـ3، ص 135.

المصعب والسيد مصطفى الكليدار الذين تم القاء القبض عليهم بعد زيارة الملك للمنطقة والمطالبة بإطلاق سراحهم.[1]

مقترنا ذلك مع السعي الى الوقوف بوجه التهديدات الغزو الثقافي الاجنبي ممثل بالإرساليات التبشيرية التي بدأت العمل في شمال العراق وجنوبه وبخاصة العمارة والفرات الاوسط وفي المقدمة منها كربلاء المقدسة، اذ كان احد المسيحيين يقدم خدماته الطبية وفي مقدمتها التلقيح ضد الامراض المعدية وبخاصة مرض الجدر لقاء روبية عن كل تلقيح وهو مبلغ كبير نسبيا آنذاك قياسا بقدرة السكان المحليين. [2]

غير بعيد عما سبق لم يقتصر تأثير البريطانيين في الهيمنة والعمل في المجالات الصحية والتعليمية بل استغلال انتشار الامراض المعدية في المناطق المقدسة خلال مواسم الزيارات الدينية وهو ما سعت السلطات البريطانية الى استغلاله لمنع توافد القادمين من الخارج وبخاصة من بلاد فارس لمنع تأثيرهم السياسي ومنع التنسيق بالمواقف السياسية بين الجانبين خاصة مع وحدة العقيدة الدينية –المذهبية والسيطرة البريطانية على الجانبين وذلك ما دعا علماء الدين في كربلاء والنجف امثال محمد حسين كاشف الغطاء بالدعوة ليس الى التمسك بالدين ووحدته بل الى تطوير البنى الفكرية والعلمية بدعوة طلبة العلم الى تطوير قابلياتهم العلمية عبر الاخذ الحضاري والاستعانة بالمعارف الحديثة وتعزيز المؤسسات العلمية بالمدارس الحديثة والمطبوعات الخارجية. [3]

لم يبق التعاطي الفكري والعقائدي لكربلاء الشعب والمفكرين والعلماء ضمن اطار الانسياق خلف الأحداث وتطوراتها بل أدت التطورات الفكرية والسياسية داخل العراق وفي المحيطين الاقليمي والدولي وحصولها ليس على استقلالية القرار الفكري والسياسي بل تجاوز ذلك الى قضية الوجود الفكر الفكري والعقائدي والسياسي الى اتخاذ الكثير من المفكرين والسياسيين قرار التصدي للعمل السياسي بأنشاء مجموعة من الحركات السياسية التي هدفت الى تغيير الواقع الطائفي للشيعة كتبعية للسياسة العثمانية واستمرارا مع السياسة البريطانية التي اتبعت سياسة اعطاء الحكم للأقلية

(1) العالم العربي(جريدة) ، 16 نيسان/ 1931.

(2) متعب خلف جابر الجابري ، تاريخ التطور الصحي في العراق للفترة 1914-1932 ،رسالة ماجستير / كلية الآداب- جامعة بغداد

(3) المصدر نفسه ، ص32 .

مع اضعاف الاغلبية خاصة ان تلك الاغلبية كانت معارضة لسياسات الهيمنة البريطانية وكان من بين تلك الحركات جمعية شباب الشيعة في اب / 1932 التي رغبت في توسيع نسبة الشيعة في الحكم والرد على تكرار الاعتداءات الوهابية على العراق ونمو و كبر حجم الطبقة المثقفة والبرجوازية في كربلاء جزءا من الفرات الاوسط بعد اتساع حجم التعليم الحكومي بالتوازن مع تطور ونمو الاتجاه الاصلاحي في الحوزة العلمية وعلمائها ومحاولات ومساعي معالجة التعامل مع الحكم والتي جاء في سياقها وضع السيد حسين القزويني الحائري كتابه (المدينة الفاضلة في الاسلام) الذي سعى فيه الى وضع اساس فكري ونظري لتعديل لدولة عادلة تربط بين الاسلام والتكوين الاجتماعي للمجتمعات الحديثة ونمو الطبقة البرجوازية في الفرات الاوسط بعد اتساع المدن على حساب الريف مع توازن قلق لزيادة المشاركة الشعبية في الريف والمدينة في الحياة السياسية نتيجة تصاعد التحديات الفكرية والعقائدية منذ الدخول البريطاني للعراق والتشكيل القلق للحياة السياسية العراقية التي قامت على الاستقطاب الطائفي والتي ساهم فيها علماء الشيعة بمعاداة النظام السياسي والهيمنة البريطانية على العراق والسعي البريطاني الى اقامة النظام السياسي العراقي على حكم الاقلية جاء اثرها تأسيس جمعية الصباح في شهر اب / 1932 في النجف وفي نفس الوقت تم تأسيس جمعية شباب الشيعة في اب من نفس السنة وجمعية الاحسان من قبل محمد حسين كاشف الغطاء .[1]

(1) محمد جواد مالك ، المصدر السابق، ص 794-796.

الهويات الفرعية وازمة الهوية الوطنية العراقية

د. عمار فاضل حمزة
أستاذ مساعد

تقديم:

إن الحديث عن الهوية من القضايا المهمة في بناء ألفرد ناهيك عن بناء الأمم والشعوب فهناك علاقة متبادلة وقوية بين الشعور الإيجابي بالهوية لاسيما الوطنية وترسيخ نزعة المواطنة في أي دولة حديثة. ويعد التاسع من نيسان 2003 في العراق تاريخا لبدء مرحلة توالت فصولها تباعاً بعد ذلك بسنوات، ذلك التاريخ المتمثل بالاحتلال الأمريكي للعراق وإسقاط نظام الرئيس صدام حسين، ومن ثم دخلت المنطقة في ما يوصف إستطراداً بأنه (صراع هويات).

وكثيرة هي المفاهيم التي عانت وتعاني من اختلالاً في المفهوم والوظيفة في العراق بعد عام 2003، ان حجم التغيير الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الذي نتج عن الإطاحة بنظام صدام عن طريق القوة العسكرية، أدى إلى حدوث زخم كبير نحو ألتغيير، ذلك التغيير الذي اثر سلباً تارة و إيجابا تارة أخرى على بنية المجتمع العراقي، مؤدياً به إلى أن يكون ساعياً إلى بناء ذاته وفق أسس تقليدية راسخة تارة ، ووفق أسس ومعايير حديثة تبلورت وفق المعطيات الجديدة التي فرضت على العراق والمنطقة بعد عام 2003 تارة أخرى، ونجد هنا أن مفهوم الهوية الوطنية كان في صدارة المفاهيم الاجتماعية المتعددة الأبعاد التي لا يجوز أن نكتفي بالقول بأنها أضحت بحاجة إلى تعريف إنما ينبغي القول إنها أضحت بحاجة إلى تحديد وجودها وخصائصها وعناصرها، لا سيما أنها كانت غير معرفة أبان الحكم السابق، ثم تعرضت عام 2003 إلى ضربة أخرى جعلتها تكون تابعاً ضعيفاً وراء ولاءات وانتماءات متعددة كل منها له كيانه واستحقاقه وأهدافه .

ولذا تهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان تأثير تلك الظاهرة على الوحدة الوطنية العراقية وما خلفته من أزمة مجتمعية ذلك أن نمط الهوية المتوافر كان يفترض أن تكون دافعاً للرفاه تمنح حامليها دفء الانتماء للجماعة وتمدهم بالتضامن والاستقرار ، ولكن عندما تضيق محدداتها وتختزل القواسم ألمشتركة تتحول إلى مصدر للترويع والعنف وحينها يكون التفرد مدخلاً لتعاطي فن الكراهية ومحو الآخرين .

مما لاشك فيه إن العراق يتمتع على صعيد البناء الداخلي بالتلون، إذ صب في هذا المجتمع الكثير من الأعراق والأديان والطوائف ليخرج منها مزيج معقدا للغاية، تعقدت معه شبكة الهوية

الوطنيــة العراقيــة أكثــر فــأكثر، وإذا نظرنــا إلى المورثــات الموجــودة لــدى اغلــب العــراقيين (في التفكير والسلوك)، لرأينا العنصرين الأكبر فيها، وهما المورثات الطائفية والمورثات العشائرية .

يتميز المجتمع العراقي بالتعدد والتنوع الاثني والديني والقبلي والطـائفي واللغـوي. فهـو يمثـل قطعة موزائيك فسيفسائية ملونة ومتنوعة ومختلفة، وان هذا التعدد والتنوع والاختلاف كان وما يزال يسوده التآلف والتعايش والتسامح في هذه البقعة الجغرافية المتنوعة التضاريس والمناخات والاجناس والثقافات الفرعية، مثلما كان مصدر غنى وأبداع. واذا حدثت بعض الاختلافات والصراعات بـين فئة وأخرى، فان مساحة التسامح قد تتسع أو تضيق أحيانا، ولكنها في الأخير تكـون صـمّام الامـان يحافظ على الوحدة والتماسك بين هذه المكونـات ويـساعد علـى التعـايش والتكامـل الاجتمـاعي، ولم يصل الامر بـين هـذه المكونـات الاجتماعيـة الى خـلاف يـؤدى الى إلغـاء الآخـر ونفيـه. وهـذا هو قمة التسامح.

وتظهر الوحدة بين المكونات الاجتماعية في التجاور والاختلاط والتزاوج والتعـايش والوئـام القبلي والاثني والديني والمذهبي والطائفي الذي يمثل السمة الاعم والاغلـب الـتي تـشيع في المجتمـع العراقي. وليس من الغريب ان يجد المرء وهو يتجول في بغـداد والموصـل والبـصرة، كنيـسة بجانـب مسجد وحسينية بجانب تكية وأن يتجاور المسيحي واليهودي مع مسلم ومعهما الـصابئي واليزيـدي وأن يتعايشوا بعضهم مع بعض تحت خيمة هوية وطنية واحدة. كما تميزت العلاقات الاجتماعية بين العرب والاكراد بالتعايش والتزاوج والمصاهرة والوئام المتبادل. وماحدث من صراعات كانت دائمـا ذات صفة سياسية بين السلطة الحاكمة ومعارضين لها.

ان التعايش والتجاور والتـآلف والانـسجام يعـود الى الحـضارات العليـا القديمـة والى تـراث الحضارة العربية – الاسلامية ومبادئها في التوحيد والتعاون والتكافـل والتـسامح، ويبـدو الاهتمـام بالهوية الوطنية العراقية قد فرض نفسه كناتج عرضي لسقوط الدكتاتورية وهـروع الهويـات الفرعيـة بقفزة واسعة إلى الوراء بما يناهز قرن من تاريخ العراق المعاصر والعكوف لمراجعة العقد الاجتمـاعي الذي تشكلت به الدولة العراقية عام 1921 وبعثرة حياة هذا العقد ومن ثم التـزاحم علـى لـضمها بخيط من غزل آخر يقوى على تحمل الشد بأيدي متعاطي السياسة في الموزائيك العراقـي، فلـم يلـد ذلك سوى الاختزال في مسار الهوية الوطنية وتمظهره بالانكفاء على الولاءات الصغيرة والحاضـنات الفرعية والجنوح بدفة الانتماء صوب الصراع علـى عمليـة توزيـع المواقـع الـسياسية والاجتماعيـة

والاحتكام الى المحاصصة على وفق تلك الولاءات الأمر الذي يكرس عوامل التقسيم والاحتماء بالعصبيات النكوصية .

1- العلاقة بين الهوية الوطنية ورابطة المواطنة العراقية :

يشير مفهوم الهوية الوطنية إلى الانتماء بمعنى الانتساب لكيان ما يكون الفرد متوحداً معه مندمجاً فيه، باعتباره عضواً مقبولاً وله شرف الانتساب إليه ، ويشعر بالأمان فيه ، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن، وهذا يعني تداخل الولاء مع الانتماء والذي يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان الذي ينتمي إليه، في حين يشير مفهوم المواطنة إلى ارتباطٌ بوطنٍ وجدانياً وذهنياً واجتماعياً، بتكامل الفرد بالجماعة، بل هي الحق في اقتسام الثروة بالعدل والمساواة دون تمييز بين المواطنين. وهي ليست ولاءً لحاكم أو لوجيه، أو رجل دين أو سياسة، ولا تقاس بمناكفة أي منهم، بل هي الولاء للعدل والمساواة، ورؤية المواطن لمثله من المواطنين في الحقوق والواجبات، سواءً السياسية أو الحقوقية، أو الدستورية والقانونية، أو الخدمية[1] .

وضمن هذا الإطار عانت الهوية الوطنية العراقية ولحقب طويلة من موجات مد وجزر بسبب طبيعة الأنظمة الحاكمة وطريقة تعاطيها مع مواطنيها، ونتيجة للصراع الثقافي الإقليمي ومحاولة استلابه للخصوصية الثقافية العراقية لمصلحة الخارج، وبسبب اختلاف وعي المواطن العراقي لذاته بين حقبة وأخرى والبحث في الأسباب يطول، ليس هنا محل الخوض المفصل فيه.

لقد برز تهميش الهوية الوطنية العراقية بشكل سافر في حقبة البعث، لاسيما في عقد التسعينات، وتجذر أكثر بعد عام 2003 مع تصاعد الحديث عن الهويات الفرعية الطائفية والعرقية والمناطقية والعشائرية ووقوع العراق في قلب الصراع الثقافي-القومي والطائفي الإقليمي، مما خلق حالة مذهلة من التصادم والصراع بين الهويات الفرعية كانت الضحية فيه الهوية الوطنية الجامعة، وقد انعكست هذه الحالة في معاناة الفرد العراقي من كل أمراض الهوية كأزمة الهوية وتعليقها وتشتتها، فتجسدت النتائج في تضخم حجم الأزمات وزيادة الصراع مع الآخر الوطني ؛ لعدم ركون الفرقاء إلى القواسم المشتركة التي تجمعهم، فغدت وحدة الجغرافيا والتاريخ والدين والثقافة والقيم والعادات وما شابه من عناصر تشكل الهوية العراقية غير كافية للملمة أطراف النزاع وحلحلة

(1) شمخي جبر، ثقافة الهوية والموطنة، الهويات الفرعية والهوية الوطنية، مجلة ميزوبوتاميا ، بغداد ، العدد10، 2009، ص1.

الأزمات والمشاكل، فساعدت مثل هذه الظروف على تنامي شبكات الإرهاب في بيئات كان بالإمكان جعلها منيعة في وجهه لو كانت مشبعة بالانتماء للهوية الوطنية، وتصاعدت موجات الهجرة إلى الخارج بعدما فقدت رابطة المواطنة القدرة على خلق الولاء والاستعداد للتضحية من اجل بناء الوطن، وسادت المصالح الضيقة بشكل خرب الكثير من مفاصل الدولة، في وقت كان مجرد الإيمان بالهوية العراقية كافيا لتغليب المصلحة العامة على أي مصالح ضيقة، بل وردع أصحاب المصالح الضيقة من أن يكونوا عوامل تدمير في جسد الوطن.[1]

إن ضعف الشعور بالهوية الوطنية قاد بشكل مباشر إلى ضعف رابطة المواطنة، وأخرج الضعف في المتلازمتين المواطن من دائرة التأثير والفاعلية، فلم يعد لدينا ذلك المواطن الفعال القادر على صنع تاريخه الخاص في الامتداد الطولي لتاريخ وطنه. نعم إن الإحساس بالهوية الوطنية يشهد صعودا وهبوطا حسب الظروف والأحداث، وان ما يؤشر على واقع الهوية العراقية محدد بوقته ولا يمكن تعميمه على المستقبل، لكن ما يحتاج إلى توضيح هنا هو أن الأوقات التي شهدت تصاعد في مستوى الإحساس بالهوية الوطنية هي تلك الأوقات السعيدة التي حقق فيها شعب العراق الانتصارات الكبيرة، وكان شعبا فاعلا ومؤثرا في تاريخه وتاريخ العالم، واليوم كما في كل حقب التاريخ المماثلة يحتاج هذا الشعب إلى استعادة هويته الوطنية الجامعة التي تشعر الأفراد والمجتمع بالانتماء إليها، وتكون هوية فوق الهويات الأخرى، تسودها ولا تنفيها، تعززها ولا تحقرها، تحترم تنوعها وتوثق وشائجها، عندها يكون الشعب حاكما فوق الحكومات، وبوصلة مصلحته العليا فوق مصالح ما عداها، وعندها فقط تترعرع رابطة المواطنة وترسخ قيمتها في بنية المجتمع. [2]

إن ما تتعرض له الهوية الوطنية العراقية بعد التغيير الهائل الذي حدث بعيد الاحتلال ونتيجة لما تعرض له الفرد من ضغط في دولة الاستبداد المنحلة جعله يبحث عن ظل يستظل به فلم يجد من ملجأ يهرب إليه غير الهيئات الارثية التي أعاد ارتباطه بها (القبيلة، الطائفة) ليحقق من خلالها الحماية والأمان في الوقت الذي لم تستطع الدولة ومؤسساتها إن توفرهما له، وفي الوقت الذي

(1) خضر عباس عطوان ، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق، المستقبل العربي، بيروت ، 2008، ص42.

(2) هاني فارس ، الآثار السياسية ـ الاجتماعية للحرب على العراق، كتاب العراق والمنطقة بعد الحرب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، 2005، ص115.

استقوى به الفرد بهويته الفرعية فان هذه الهوية استقوت به أيضا ، وأدى التفاف الأفراد حول هذه الهويات إلى تشكيل عبء على المواطنة بل انتهاكاً لها حين تحول ولاء الفرد إلى ولاء آخر مشكلا بديلاً عن الولاء الوطني فأصبح عائقاً أمام بناء مواطنة يقف الأفراد داخلها على خط واحد متساوين في الحقوق و ألواجبات. (1)

2- جدلية الولاء للعشيرة :

لا شك إن معظم الحركات السياسية في الشرق تعتمد على مؤسسة العشيرة ومنذ بدايات تأسيسهم ولأول مرة. لذلك نرى أن هذه المؤسسة تبقى وباستمرار فاعلة ونشطة تحافظ على قوتها وحيويتها في التأثير على القرار السياسي بجميع أبعاده، أما دورها في المجتمعات الغربية المتطورة والمتقدمة فإننا نرى أن تأثير تلك المؤسسة يختفي ليحل محلها اليوم مؤسسة العائلة القيادية والتي سادت الساحة السياسية بجميع اتجاهاتها الفكرية والدينية من اليسار إلى اليمين ومن الشرق إلى الغرب. كذلك نرى أن تلك الاتجاهات في السياسة العالمية تنعكس على الهيكل التنظيمي لتكوين مجمل الحركات السياسية في عموم دول الشرق ، فليس من الغريب أن يرث الابن الأب في قيادة الحزب والدولة على الرغم اختلاف النظام الفكري للحزب الحاكم من دولة إلى أخرى ، إلا أن مؤسسة الدولة الملكية بقيت محافظة على تكوينها الهرمي أينما وجدت ورغم تطورها عبر الزمن وعلى مراحل وبإشكال مختلفة كما هي عليها المؤسسة الملكية في الدول الأوربية التي تعتمد على العائلة الحاكمة وتوارثها للسلطة أبا عن جد. (2)

وفي حالة العراق يشكل العرب الغالبية العظمى في ، لكن هناك قوميات أخرى تعيش معه والى جانبه كالأكراد مثلاً الذين يقطنون بتركيز في المناطق الشمالية من العراق، وأما التركمان فهم يتركزون في كركوك، ويتوزع تحت لواء كل قومية منها مسلمين وغير مسلمين متجاورين منذ القدم ، فضلا عن الايزيديين والكلدو-آشور في شمال العراق.(3)

---

(1) شمخي جبر، المصدر السابق ، ص2 .

(2) صباح ياسين، صحوة العشائر العراقية، خلفيات المشهد: اغتيال الدولة وتغريب المجتمع، كتاب العراق تحت الاحتلال: تدمير الدولة وتكريس الفوضى، مجموعة باحثين، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2008، ص202.

(3) هاني فارس ، الآثار السياسية ـ الاجتماعية للحرب على العراق ، المصدر السابق ، ص 80 – 82 .

تعد مؤسسة العشيرة من أهم مقومات تكوين المجتمع العراقي تاريخيا و حتى وقتنا الحاضر، هذه الحقيقة التاريخية لها جذور عميقة في تكوين نفسية الفرد العراقي سواء أكان عربيا أم كرديا أو تركمانيا أو ايزيديا، ساهم ويساهم في تسير دفة نمطية الهيمنة الفكرية على مجمل أعراف وتقاليد المجتمع العراقي المعاصر. تلك التفاعلية تمثل اليوم الحجر الأساس في سلوكية الفرد وتنعكس على مجمل الحياة والنشاط الاجتماعي، ذلك أن هيمنة فكر مؤسسة العشيرة لها تأثيرات ايجابية وأخرى سلبية على الفرد والمجتمع وان تلك المساهمة الايجابية والاجتماعية لها فوائدها من ناحية تقوية أواصر السلم الاجتماعي ونشر روح التسامح بين الناسز [1]

لقد استمرت روح العشيرة في العراق في التحكم نسبياً في العلائق الاجتماعية بما هو خارج حدود المدن الرئيسية، وصمدت باعتبارها رابطة تضامنية، ثم تعززت في الظروف السياسية التي شهدها العراق بعد عام 1980 باندلاع الحرب العراقية –الإيرانية ، وبشكل خاص الحرب الأمريكية على العراق عام 1991، حين تداعى الأمن وتقلصت ذراع الدولة لتنكفئ في بغداد وبعض مراكز المدن، فعادت الدولة لترعى شيوخ العشائر ووجوهها البارزة ولتبعث تضامنية القبيلة باعتبارها هوية وطنية، ورابطة لها وظيفة اجتماعية وقيميه في الدفاع عن المخاطر الخارجية و الداخلية، وبعد عام 1991، أعيد في العراق تشكيل ثقافة الانتساب إلى القبيلة والبحث عن الأصول والأنساب، وإعطاء ادوار محددة لرؤساء القبائل، داخل بنية العشائرفي قضايا تتعلق بفض المنازعات والخلافات المحلية، وتشجيع قيادات شابة جديدة على ان تأخذ دورها داخل النسق الاجتماعي في القبلية. [2]

إن حسنات مؤسسة العشيرة تسمو على سلبياته حيث تعتمد هذه المؤسسة العريقة على التقاليد والأعراف والقيم السماوية والأخلاق النبيلة والشهامة والنخوة وما إلى ذلك من صفات

(1) صباح ياسين، صحوة العشائر العراقية ، المصدر السابق ، ص 111 – 112 .

(2) علي محسن ، الدور السياسي لعشائر العراق ، مقال منشور على موقع الرأي الالكتروني بتاريخ 10 / 5 / 2007.

إنسانية طيبة في حين يبقى انتشارها كمؤسسة يعتمد بالدرجة الأولى على مدى انتشار التعليم ودرجة الوعي بين الناس و درجة تطور المجتمع نفسه ومن كافة النواحي.[1]

أما فيما يخص سلبيات المؤسسة فإنها نابعة بالدرجة الأولى من وجود شخصيات سلبية ضمن المؤسسة نفسها من ناحية، ومن ناحية أخرى نابع من ماهية المؤسسة نفسها في كونها سلطوية قيادية وشمولية قد تدفع بالعامة إلى التهلكة حين ينفذون أوامرها دون العودة إلى الحكمة والعقل وكمجرد طاعة وولاء للشيخ نفسه وبغياب كامل للوعي بالمسؤولية تجاه قوميته وآماله في تأسيس كيانه الوطني المستقل. هذا التوجه الأخير استغلها جميع الأنظمة العنصرية التي حكمت شعب العراق بمختلف أطيافه ، بذلك اختفى الانتماء الوطني ليحل محله الانتماء إلى شخص الشيخ أو العشيرة فكانت العشائر تحمل الحراب لتحارب بني جلدتها وأحيانا بشراسة و في معظم الأحيان تحت إمرة حاقد ظالم،.في حين بقى العديد من الشيوخ رغم انطوائهم تحت راية الظالم يدافعون عن أهلهم ويهونون من اثر الهجمة الظالمة و الشرسة لجلاوزة تلك الأنظمة القمعية .

إن العشيرة تشكل للمجتمع عدة تحديات، فهي لا تدعم قيماً تقليدية وفطرية فقط، إنما تتنافس مع السلطة المركزية على مسائل الهوية والولاء وممارسة السلطة ألسياسية والعشيرة ـفي السياق العراقي ـهي مسألة مثيرة للانشغال حيث يقدر أن أكثر من نصف المجتمع منظم على نحو قبلي سواء العرب أو الكرد لذلك يجب وضع خط فاصل بين (صلاحية) القبيلة ومسؤوليات الدولة لأجل إبقاء الإيجابي في تقاليد القبلية والتخلص من السلبي أو تقليصه، فالقبيلة تملك حق تنظيم شؤون أفرادها الخاصة وليس العامة، مثل بعض الأمور المتعلقة بالزواج والتكافل والحفاظ على العلاقات الرحمية، وفي أحايين معينة حل بعض المشاكل بين أفرادها. لكن حينما يتعلق الأمر بالقضايا العامة، تنتهي (سلطة) القبلية وتبدأ سلطة الدولة، فالجرائم الكبيرة وحسمها وقضايا الملكية والتنظيم العام لحياة الأفراد، مثل قواعد الزواج والوراثة، وإدارة المحافظات والدوائر.. الخ هي صلاحية الدولة حصراً ولا يجوز للقبيلة أن تتدخل للتأثير عليها، ويشمل ذلك التعيينات في الوظائف، خصوصاً العليا، وتقرير كل ما يتعلق بالشؤون المالية والعقود، وتطبيق القانون .

(1) باسم عبد عون فاضل ، صراع الهويات وأثره على بناء الدولة العراقية ، مركز الفرات للدراسات والبحوث، بغداد ، 2013 ، ص20 .

يتضح مما تقدم أن العشائرية، وإطارها الأوسع القبلية، بعد أن برز المجتمع الوطني أصبحت تنطوي على السلبي مثلما تنطوي على الإيجابي، ولضمان تغلب الإيجابي يجب أن تكون للدولة وقيادتها سياسة وطنية واضحة ومقنعة تستطيع استقطاب العشائر والقبائل ضمن أطرها وأن تجعلها تقبل بسيادة القانون والدولة بلا تردد وأن تحدد لها دوراً في بناء الوطن فلولا وجود خطه لدى القيادة للاستفادة من قوة الرابطة العشائرية، لأفلتت الأمور وسادت العشائرية على الدولة والمجتمع، وذلك يعني الخراب لكليهما. لقد استنهضت القيم الإيجابية في العشيرة مثل الشرف والكرامة والعزة والاعتزاز بالأصول القومية والفروسية والكرم والصدق.. الخ فكانت النتيجة أن العشيرة في منطقتها وعلى نطاق العراق كله، أصبحت أحد أهم حماة المجتمع والدولة وسخرت أموال الشيوخ ونفوذهم وأرواح أبنائهم لضمان أن لا ينجح المحتل الأجنبي بتدنيس قدسية العراق، ومع ذلك تبقى العشائرية خطراً على وحدة المجتمع والدولة إذا لم تخضع لمشرف عام قوي وعادل وعارف بحدود الدولة والعشيرة.[1]

3- جدلية الولاء للطائفة :

أما في ما يتعلق بالطائفة، وعلاقتها بالهوية الوطنية العراقية ، فهي لا تقل شأنا عن موضوع الانتماء القبلي والعشائري للفرد العراقي، وربما تكون أكثر سطوة منه لا سيما بعد الحرب عام 2003 . والسؤال الذي يطرح نفسه، كيف ذلك ؟

ويغلب الطابع الإسلامي على العراقيين فمنهم الشيعة ومنهم السنة، يعيشون دون أن يهتموا كثيراً بنوع مذهبهم حتى ظهرت الحركات الدينية السياسية الحديثة في كل من مصر والأردن وسورية والسعودية وغيرها من البلدان العربية والإسلامية كأفغانستان وباكستان وإيران وتركيا وغيرها من البلدان.[2]

تسعى الهويات الدينية في العراق اليوم إلى إعادة هيكلة وجودها، والاضطلاع بدورها الديني والسياسي التقليدي في المجتمع العراقي، بحيث تأخذ دورها الطبيعي في توجيه وحماية وإعلان

(1) صباح ياسين، صحوة العشائر العراقية ، المصدر السابق ، ص 120 -123 .

(2) Adrian Martin, the link between Security and Identity in Iraq . threat watches center, june 30,2008, p.1.

المطالب لأتباعها ، وان هذه الحالة هي طبيعية صحيحة نجدها في المجتمعات المستقرة والمتقدمة. لكن هل توجد مشكلة في ذلك في العراق ؟

منذ عام 2003 أصبحت هناك حالة من الالتباس تعيشها كلّ من الهويات الفرعية في العراق- سواء مع نفسها أو مقارنة بالهويات الأخرى – ففيما تنقسم (الهوية) الشيعية بين قوى إسلامية متعددة تتزعمها ثلاثة تيارات رئيسة : (المجلس الأعلى وحزب الدعوة الإسلامية وعدد من الأحزاب والتنظيمات المتشابهة) و (التيار الصدري) و (حزب الفضيلة) ، تحمل كذلك أعداداً كبيرة من المنادين بالهوية الوطنية وآخرين مازالوا على أيمانهم بفكرة القومية العربية ، فيما تندرج فئات ثقافية وأحزاب وجمعيات أهلية عديدة ، في إطار اليسارية والعلمانية ، وكلّ من هذه المسميات والعوامل – ظاهرها ومستترها – يتضمن الكثير من معوقات تبلور (هوية) شيعية ناهيك باكتمالها.[1]

العوامل المذكورة تبرز بشكل أكبر في الحديث عن (الهوية) السنيّة، خاصة في عاملي الهوية الوطنية والفكر القومي العروبي، فالسنّة كانوا على امتداد التاريخ العراقي الحديث، يحكمون العراق بشكل منفرد (تقريباً) ما جعل النظر إلى الهوية الوطنية يبدو جزءاً من تشكّل نفسي ينعكس على السلوكيات السياسية عموماً لكنه يختلط كذلك في موضوعة الإنتماء الوطني ربطاً بمحيط عربي، ما يلقي بظلاله على تسارع (مفترض) في بلورة هوية طائفية عند السنّة من العراقيين.[2]

إن حالة اللا مساواة والتمييز الطائفي التي اتبعها نظام الحكم السابق قبل عام 2003 في تقسيم أبناء الشعب العراقي طائفيا، ليس فقط في وضع خطوط للتقسيم الطائفي المذهبي، بل في تثبيت حالة اللا مساواة والإقصاء والتهميش التي تعرضت له هذه الطائفة أو تلك، تحت ذريعة الشعارات القومية ونبذ الطائفية وحماية البلد من أطماع الدول المجاورة ، قد نتج عنه أن تعيد هذه الجماعات الدينية الالتفاف حول نفسها وتعزز من وجودها ودورها في تفعيل هويتها الدينية .

القول بـ (هوية) خاصة يكوّنها المذهب تبدو لا منطقية في خصوصيات الواقع العراقي، فالشيعة هم أكبر المكونات المجتمعية وأكثرها تأثيراً في المشهد السياسي لمرحلة ما بعد التغيير، وبالتالي

(1) وليام أندرس، غاريت ستانسفيلد، عراق المستقبل، ترجمة رمزي بدر، الفرات للنشر والتوزيع بيروت، ط1، 2005، ص215.

(2) المصدر نفسه ، ص 220 – 221 , لا يونهيل بيهنر، اسطوانة الهلال الشيعي، مجلس العلاقات الخارجية، حزيران 2006.

فمهمة بناء الهوية الوطنية أو الحفاظ على حدّ أدنى من مقومات بقائها يقع أولاً على عاتق الشيعة باعتبارهم أكثرية، كذلك عليهم أن يقودوا عملية التكامل مع بقية المكونات بصفتهم تلك ، أما المسألة الأكثر وضوحاً بالنسبة(للهوية) الشيعية فإن إندفاعها للتكامل مع متشابهات طائفية أخرى ستوقعها في تناقض قومي وسياسي وديني ، فالتربة الداخلية (الشيعية) تمور بالتموجات بمختلف أشكالها ومستوياتها، والفضاءات الخارجية لا تمتلك سوى امتداد وحيد (إيران) بشيعيتها المختلفة قومياً (الفارسية) وفقهياً(ولاية الفقيه) وسياسياً (النظر إلى شيعة العراق باعتبارهم ضمن مجالها الحيوي الدائر في فلكها) ، وبمجموع هذه المعطيات تبرز الأهمية في بحث المجتمعية الشيعية عن بدائل أكثر تناغماً مع الواقع الوطني منه إلى البحث عن خصوصيات هوياتية. [1]

من جانب آخر لاشك أن سعي الطائفية السنيّة العراقية إلى الإنتقال من المكون المجتمعي إلى الهوية الطائفية يواجه أكثر من معضلة، فالمكون السنّي بصفته العربية لا يجد نفسه خارج عراقيته، وهو إذ يرى في انتمائه إلى فضاء عربي تغلب عليه الصفة القومية أولاً رغم إختلاطه بالمسألة المذهبية، إلا أن جذوره تنمو في (تربة) عراقية كانت على الدوام مبعثاً للفكرة العروبية أو ركيزتها الأساس، وبالتالي فتكوين هويته على أسس طائفية يعد بمثابة تحجيم لدوره المحوري في فضائه العربي ، إذ انه لا يستطيع الإكتمال منفرداً كهوية طائفية عراقية، أما السعي إلى التكامل مع هويات عربية مجاروة فيتخلله الكثير من المآزق في ظل ما تشهده تلك المجتمعات من قلق في الهوية وإلتباس في التكّون وبالتالي فتكامله مع المكونات العراقية يمتلك من الأسس المنطقية ما يزيد عن غيره، ذلك لأن انتماءه إلى فضاء عربي قد يكون نافعا في التعامل مع الخاصّ العراقي لا الصراع معه أو الإنفصال عنه، وإلا عدّ ذلك بمثابة مراهنات غير محسوبة تستبدل واقعاً (على إشكالياته) بمفترضات (في التباسها وأزماتها ومآزقها).[2]

ان التطور السياسي – الاجتماعي الأكثر دراماتيكية في فترة ما بعد الحرب عام 2003 هو ظهور رجال الدين الشيعة والجماعات الدينية الشيعية كمنافسين رئيسين على السلطة، لقد

(1) Adrian Martin, Op.Cit .pp.5-6.

(2) حسن لطيف الزبيدي، نعمة محمد العبادي، د. عاطف السعدون، العراق والبحث عن المستقبل، المركز العراقي للبحوث والدراسات، ط1، النجف، بيروت، 2008، ص520.

اظهروا قدرة على التنظيم والقيادة وإعلان المطالب نيابة عن جماعتهم إلى حد فاجأت سلطات الاحتلال .

في الوقت الذي كان فيه المد الشيعي السياسي في أقصاه بعد تأثير الثورة الإسلامية في إيران المجاورة، غالباً ما كان ألشيعه مثالاً يحتذى عن الاندماج الناجح في الدولة العراقية ويؤخذ كبرهان على الخطأ الفطري بشأن الانقسام المجتمعي المفترض بين السنة والشيعة. لكن المشكلة تكمن في أن الشيعة ذوي التوجهات السياسية يعتبرون أن التمثيل الناقص للشيعة في النظام السياسي العراقي خلال الحقب الماضية هو المشكلة الأساسية التي تواجه العراق، فلم يكن الشيعة أبدا مندمجين في مجموعات صنع القرار في الحكومات العراقية قبل 2003، ربما تكون قضية التمثيل الشيعي في الدولة العراقية محط الاهتمام في الأشهر والسنوات القادمة أكثر بكثير عن ما كان عليه في السابق .

إن تنامي مشاعر الانتماء الطائفي قاد إلى موجة عارمة من التعصب الطائفي لدى الشيعة والسنة خصوصاً، فمشاريع الخوف من تكرار الماضي لدى الشيعة، تقابلها مشاعر الخوف على المستقبل واحتمال التمييز لدى السنة التي عمقت من أزمة الثقة بين الفريقين وتنامت بفعلها مشاعر الولاء الضيقة لديهما بعيداً عن الانتماء الاسمي للوطن الذي يفترض به أن يسمو على كل ولاء.[1]

فهل أن المشكلة تكمن في العنصر الوجودي للسنة والشيعة؟، الجواب هو لا، فأتباع الطائفتين تعايشا على مدى عقود لا بل قرون من الزمان ولا يوجد مشكلة تفرقهم، بالمقارنة إلى ما يجمعهم من علائق اجتماعية اقتصادية وجودية قبل أن تكون وطنية سياسية بشكلها الأشمل .

لو أردنا الحديث بالأرقام، ينتج عن تأسيس ديمقراطية حقيقة نيابية في العراق دولة ذات سيطرة شيعية، يبلغ عدد الشيعة 16 مليون نسمة تقريباً وهذا الرقم هو أكثرية (60٪) من عدد السكان (بمن فيهم الكرد) .

ومن المناسب أن نشير إلى انه غالباً ما تزاوج الشيعة والسنة وخصوصاً بين حضر الطبقة الوسطى، وبعض العشائر العراقية تتألف من فروع بعضها شيعي وآخر سني، ويقول الخبراء أن الشعور الوطني العراقي بقى مهما لكلا المجتمعين (حارب الشيعة والسنة ضد بريطانيا بعد انهيار الإمبراطورية العثمانية، ما بعد الحرب العالمية الأولى عام 1914، وكذلك ضد إيران في الحرب

(1) لا يونهيل بيهنر، اسطوانة الهلال الشيعي ، المصدر السابق .

ما بين عامي 1980 ـ 1988) حيث لا يجد الشيعة أي حساسية في هويتهم العراقية، بل هم يعشقون هذه الهوية ويجدوها مستوعبة لهم ومستوفية لكل ولائهم وخصائصهم. (1)

وعلى كل حال، فان بعض المتطرفين العرب السنة والذين يدعون "بالتكفيريين" يعتبرون الشيعة وثنيين ولذلك فهم عرضة للقتل، ومن بين هذا الفرع من الإسلام المتطرف (أبو مصعب الزرقاوي من القاعدة في العراق، وأبو بكر البغدادي مؤسس ما يعرف بتنظيم الدولة الإسلامية داعش) الذين اعتبرا العدو القريب "الشيعة متعاونون مع الحكومة ذات القيادة الأمريكية ، وكذلك الشيعة المدنيين أهدافا مناسبة للتفجيرات الانتحارية. (2)

4- تحديات الهوية الوطنية العراقية

منذ انهيار النظام السياسي في العراق عام 2003م بفعل التدخل الخارجي العسكري من قبل القوات الأمريكية تواجه الهوية العراقية تهديدات وأزمات كبيرة يقف في مقدمتها الإرهاب والتطرف الديني اذ مرت استراتيجيات إعادة بناء الدولة العراقية بمخاضات صعبة وتداعيات عدة، ولعل في مقدمتها الإرهاب وأنموذج المحاصصة السياسية .

أ) تحدي الإرهاب والتطرف الديني :

وبغض النظر عن تشابك وتعقيد الوضع الأمني الذي شهده العراق منذ آذار 2003، فالعمليات الإرهابية التي شهدتها مناطق العراق من شماله حتى جنوبه، والتي قامت بها هذه المجموعة أو تلك من المجاميع الإرهابية والمسلحة والتي استهدفت جهة معينة، وبالتالي قيام هذه الجهة بالانتقام، كلها كانت جذوة لحرب أهلية جعلت السلم الأهلي ينهار مما سبب وجود عداوات وعلاقات يشوبها الحذر والريبة والخوف المتبادل بين سائر أطياف الشعب العراقي.

---

(1) ستيفن همسلي لونكريك، أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ، ترجمة سليم طه التكريتي ، بغداد ، 1988 ، علي الوردي، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، الطبعة السابعة، بيروت، 2005 ، ص 80 – 82.

(2) أنتوني كوردسمان: أمريكا انتصرت في حرب غير شعبية وخسرت حرباً شعبية، تقرير واشنطن، 2009، ص1– 2 .، كذلك : خضر عباس عطوان، مستقبل ظاهرة العنف السياسي في العراق، المصدر السابق ص 132 .

لعل تنظيم القاعدة ومن بعده تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) الذي له نشاط عالمي يسيره توجه معروف للجميع، هما التنظيمان الذين عملا جاهدين أكثر من غيرهما على ضرب الوحدة الوطنية في العراق، قد استغل غياب السلطة بعد عام 2003 ومن ثم ضعف السلطة بعد تشكيلها عام 2004 وسعيا لإيجاد هوية عراقية مغايرة عن التي هي موجودة أصلا.

ولأجل أن يتمكن من تحقيق أهدافه والتي في مقدمتها استهداف الهوية الوطنية العراقية، يحتاج تنظيم داعش الذي خلف القاعدة لإدامة دوامة العنف بين السنة والشيعة في العراق، ويتطلع بذلك إلى استهداف سيطرة الدولة على العنف وتعطيل تقديم خدماتها.

مما لا شك فيه إن قوة وقدرة تنظيم داعش في ممارسة نشاطه قد تراجعت بشكل كبير، وذلك بسبب العمليات العسكرية التي شنت ضدها، وبسبب قدرة الدولة العسكرية الأخذة بالتصاعد التدريجي.

لكن مع ذلك، فان تنظيم داعش ما زال موجوداً، يدعمه في قيامه بأعماله بقايا الخلايا المتمردة المسلحة، وان وسائل تنظيم القاعدة في ذلك هي كما يلي :

أـ من خلال إطلاق الحملات الإعلامية.

ب ـ استهداف الروابط بين المجتمعات الشيعية والسنية، كالزواج المختلط بين الطرفين، وخلق فجوة اجتماعية بينهم.

ج ـ استهداف الأماكن التي من شأنها ان تسبب في انهيار البناء الاجتماعي، كتفجير المرقد المقدس في سامراء على سبيل المثال.[1]

بالرغم من إن الأعمال التي قام بها تنظيم القاعدة قد سببت مشاكل اجتماعية كثيرة، وأدت غالى دوامة من العنف، وكان عملية الانتقام لها نفس الزخم وتعاكسها بالاتجاه، لكن ليس بنفس الأهداف، إن أعمال تنظيم القاعدة انتهت في حين أن تنظيم داعش بدأ يتراجع لان التنظيم واجه محددات كثيرة اشرنا إليها سابقاً.

عندما ننظر إلى الأوضاع في العراق، لا نرى أن هناك نصراً عسكرياً قد أحرز ، إنما نرى تقدم كبير جداً، ولكن هذا التقدم ساعد في إيجاد مناخ مكن القوى والقيادات العراقية من تأمين مصالحها

(1) محمد علوش ، داعش وأخواتها ، من القاعدة إلى الدولة الإسلامية ، رياض الريس للكتب والنشر ، بيروت 2015 ، ص 139 وما بعدها .

السياسية، وفي الوقت ذاته جذب الانتباه إلى القوى الأخرى كمنافس قد يحصل على السلطة في حال غياب مشاركتها في العملية السياسية، ولكن هناك نوعاً من التوتر في شمال العراق بين الأكراد والعرب والتركمان، ولكن ليس حول كركوك فقط وإنما بسبب الاختلافات بينهم حول تقاسم الأرباح وعائدات الدولة بينهم وبين الأقليات الأخرى التي هي المحور الأساسي للتوتر.[1]

فالنسبة لقضية كركوك يدعي كل من الأكراد العراقيين والتركمان إن كركوك هي عاصمتهم التأريخية، لكن التوازن العرقي للمحافظة تغير على نطاق واسع في ظل النظام السابق من خلال طرد الأكراد وتدفق العرب وإعادة التصنيف القسري للتركمان على أنهم عرب، ومنذ نيسان ابريل 2003، عاد عشرات الآلاف من الأكراد إلى كركوك، وأعطت انتخابات المحافظات التي جرت في يناير 2005 أغلبية المقاعد في مجلس المحافظة كركوك للائتلاف الكرديين ، وقد قاطع الأعضاء العرب في المجلس اجتماعاته لمدة 13 شهراً حتى تم توقيع اتفاقية في 2/ 12/ 2007 نصت على ترتيبات للمشاركة في السلطة وتقسيم الوظائف الحكومية بناءاً على نسبة (32 ـ 32 ـ 32 ـ 4) في المائة بين الأكراد والعرب والتركمان والمسيحيين على التوالي.

و يميل السياسيون إلى استغلال عدم الاستقرار في كركوك كوسيلة لصقل انتماءاتهم الوطنية أو العرقية وتحقيق مكاسب انتخابية، ويجد القادة والمواطنون الكرد صعوبة في التوصل إلى حل وسط بشأن استيعاب كركوك في حكومة إقليم كردستان، وكذلك يستغل القادة العرب والتركمان، قضية كركوك كوسيلة لإظهار انتماءاتهم العرقية أو الوطنية، فما زالت قضية كركوك بانتظار الحسم، رغم إن أطراف قضيتها لهم مواقف متشنجة ولذلك فان وضعها آخذ بالصعوبة بدلاً من الانفراج والحل.[2]

إن معظم القرارات السياسية، مثل الانتخابات المحلية والقرارات حول الفيدرالية التي سيكون لها كبير الأثر على مستويات العنف ارتفاعاً أو انخفاضاً، لم تتخذ بعد، فما زالت التوترات قوية

(1) ولي نصر، ندوة السنة مقابل الشيعة، مدرسة الدراسات البحرية العليا، مجلس العلاقات الخارجية 2015.

(2) احمد علي ومايكل نايست، كركوك: اختيار للمجتمع الدولي، مركز واشنطن لسياسات الشرق الادنى، 2009، يناير، ص2.

في بغداد بين السنة والشيعة، فضلاً عن غياب الثقة في الجيش والقوات الأمنية العراقية، وكذلك غياب الثقة في الحكومة العراقية في المناطق السنية.[1]

أن قرارات حاسمة مثل موضوع كركوك وطبيعة النظام الفدرالي الذي اقره الدستور العراقي، كلها مواضيع بحاجة إلى مزيد من النضج السياسي والاجتماعي والإداري، وهذه كلها مرتبطة بالقرارات السياسية التي تصدر معبرة عن تطلعات المجتمع العراقي بكافة أطيافه إذ أن كل أزمة ثقة تؤثر في ذلك، بالمقابل إن أي تقدم ربما يصب في حسم هذا الموضوع أو ذاك بشكل عام إن الأجواء تسير نحو الانفراج ، فتحقيق الهدوء الأمني البلاد سينجم عن التقارب بين الكتل السياسية، والذي بالطبع له بالغ الأثر على الأمن والسلم الاجتماعي، لان هناك من يقول أن الأخير يعتمد على الخلافات السياسية أو يكون انعكاسا لها . وبالتالي يوفر إمكانية الاتفاق على بعض المواد المطروحة.[2]

فلو أتينا إلى الفدرالية، هناك من ينادي بها وهناك من لا يحبذها وهناك من يعارضها، وكل طرف ينطلق من تصورات معينة. فلو أتينا إلى وجهة نظر المفكرين الاستراتيجيين الأمريكان، هناك من يعتبرها حلا يجنب العراق كارثة وشيكه، لذا نجدهم نادوا بفدرالية طائفية تستند على تقسيم البلد إلى 3 كيانات فدرالية، أهم من نادى بذلك هم جوزيف بايدن ومايكل اوهانول ، في الدراسة التي تحمل عنوان (حالة التقسيم السهل في العراق) التي صدرت في ديسمبر 2007 ورحب بها الكرد في العراق، في حين رفضها الشيعة والسنة على حد السواء واعتبروها بمثابة خطة لتقسيم البلد على أساس طائفي ديني. في حين ذهب الباحث في معهد الدراسات الإستراتيجية والسياسية في واشنطن (أنتوني كوردسمان) بالقول أن أفضل حل للفدرالية في بقية أنحاء العراق أن لا تكون هناك فدرالية على الإطلاق، أن التسوية السياسية في العراق اعني التسويات الاثنية والطائفية بخصوص المناطق والأقاليم المختلطة ـ ستكون أفضل حالاً لو أنها لا ترد بشكل مقدس في بناء فيدرالي رسمي ربما يكون ذلك على الأقل في الوقت الراهن .

(1) حسن لطيف الزبيدي، نعمة محمد العبادي، د. عاطف السعدون، العراق والبحث عن المستقبل ، المصدر السابق ، ص 171 .

(2) احمد علي ومايكل نايست، كركوك: اختيار للمجتمع الدولي ، المصدر السابق ، ص 6.

تبقى الفدرالية موضوعا اقره الدستور العراقي ، وهو بحاجة إلى النضج السياسي لدى الشعب العراقي و قياداته وشأنه شأن أي موضوع ، فهو بحاجة الىتوافقات لازمة ، وإذا ما أريد لها النجاح، لابد أن تبتعد عن إثارة الشعب العراقي، وان لا تكون مبعثا للقلق بحيث تستنفر العراقيين وتشعرهم إن بنيتهم الاجتماعية تحت الخطر مجددا .

ب) الآثار السلبية لنظام المحاصصة السياسية وأزمة الهوية :

يقف نظام المحاصصة السياسية مهددا اكبر للوحدة الوطنية العراقية وللهوية فيه ، ذلك الأنموذج الذي ميّز العملية السياسية في العراق التي كان معولا عليها في بناء الوطن بأبهى صورة، إذ كان من المؤمل أن تسير تلك العملية وفق الأنموذج الديمقراطي السليم كي تكون مفتاحاً لتحقيق الأمن والاستقرار والسلم الأهلي في العراق، عندما يشعر المواطنون بأنهم يمثلون بأفضل طريقة، مما سيعزز من جو الثقة بين المواطن والسلطة. إلا أن تلك الثقة اصطدمت بوصفة المحاصصة التي وجد بها الفرقاء السياسيون العلاج والمسكّن الوحيد لإرضاء الجميع والمشاركة في السلطة، دون أن يعوا مخاطر ذلك الفعل على البنية الاجتماعية العراقية والتحديات التي سينتجها في المستقبل .

ويقصد بالمحاصصة الطائفية والسياسية تلك الإجراءات التي تتخذ بالتوافق بين مختلف التيارات المذهبية والقومية من اجل ضمان تمثيل نسبي لجميع الطوائف والقوميات في الحكومة بما ينسجم مع كثافتهم السكانية وذلك بإسناد مناصب ومراكز تختلف في أهميتها ووزنها السياسي لممثلي هذه الطوائف والقوميات.[1] وقد جرى زرع وترسيخ المحاصصة الطائفية والسياسية في العراق منذ عام 2003 عندما تم تشكيل مجلس الحكم الانتقالي برئاسة الحاكم المدني الأميركي (بول بريمر)، إذ كان المجلس المذكور الذي تشكل في شهر أيار من عام 2003 يضم (25)عضواً من ممثلي الكيانات السياسية المختلفة، وقد راعى المجلس في تشكيلته الحجم السكاني لكل طائفة وقومية، إذ ضم (13) عضواً من الشيعة العرب و (5) أعضاء من السنة العرب و (5) أعضاء من القومية الكردية فضلاً عن عضوين آخرين لكل من المسيحيين والتركمان بالتساوي.[2]

(1) سعد البزاز، المحاصصة السياسية وأثرها في الاستقرار السياسي للعراق، جريدة الزمان ، 14 / 7 / 2014.

(2) جريدة الزمان ، لندن ، بتاريخ 16 / 7 / 2003 .

وعلى الرغم من أن الدستور لم يشر إلى هذه الإجراءات ولم ينص عليها قانوناً إلا أنها باتت عرفاً ملزماً في تشكيل الحكومات العراقية المتعاقبة منذ عام 2003. وهو أمر يتناقض أصلا مع الدستور العراقي الذي نص في المادة (1) من الباب الأول على أن (جمهورية العراق دولة اتحادية... نظام الحكم فيها جمهوري نيابي برلماني ديمقراطي)[1] ، مما يوحي بما لا يدع مجالا للشك أن الحكم في العراق بات ، كما يفترض أن يكون ، يقوم على قاعدة حكم الأغلبية السياسية التي تحوز على أكبر عدد من المقاعد في البرلمان سواء أكانت حزباً أو ائتلاف يضم مجموعة من الأحزاب وهي التي تشكل الحكومة وتنتخب رئيس الجمهورية، إلا أن القاعدة التي بات معمولاً بها هو اعتماد مبدأ (المحاصصة الطائفية والسياسية) في توزيع المناصب والأدوار.

إن المحاصصة عبارة عن منهج سياسي اتبعتهُ الكتل والأحزاب السياسية العراقية في توزيع المناصب والمكاسب السياسية والوظيفية على المكونات الحزبية الفائزة في الانتخابات تحت شعار إدارة شؤون البلاد من قبل الجميع دون استثناء. ومن هنا برزت مشكلة المحاصصة في العراق؛ كون أن قادتها السياسيين عدّوها الخيار الأمثل لتحديد هوية العراق السياسية بعد 9\4\2003م، وعلى أساسها وضعوا برامجهم الانتخابية والحزبية المفتقدة للطابع الوطني الشامل، فمن الصواب أن نحترم خيارهم هذا من إطار حقهم المشروع في تمثيل الفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها، إلا أنهُ يجب أن يحتل هذا الأمر الدرجة الثانية بعد درجة بناء الوطن الأم وهو العراق، فمثل هذا المشهد جعل المواطن العراقي البسيط يُسقط صفة الوطنية من أقطاب العملية السياسية، وبات ينظر إليها من منظار الهويات الفرعية الثانوية نهجاً وسلوكاً، وهذا ما تجسد فعلياً في شعاراتهم وحملاتهم الانتخابية ذات الطابع القومي الطائفي.[2]

إن مشهد المحاصصة في العراق مر بثلاث مراحل، كانت بدايته الأولى بعد الاحتلال الأمريكي، والذي أخذ صورة المحاصصة الطائفية، ذلك الأنموذج الذي أسس ووضع لبناته كبرنامج عمل قواتُ الاحتلال الأمريكي المتمثلة بسلطة الائتلاف المؤقتة السابقة برئاسة الحاكم المدني الأمريكي السابق (بول بريمر)، والذي جسدهُ مجلس الحكم الانتقالي الذي كان النقطة السياسية الأولى في مشروع

(1) الحكومة العراقية ، دستور جمهورية العراق ، بغداد ، 2005 ، ص 3 .

(2) أنتوني كوردسمان، صياغة إستراتيجية وخطة تعتمد على الظروف للبقاء في العراق، مركز الدراسات الإستراتيجية والدولية بواشنطن، 2005، ص5.

المحاصصة الطائفية. وعلى الرغم من خطورة هذا الإجراء، إلاَ أن القوى السياسية العراقية رضيت به وفق فكرة أنها مرحلة انتقالية ممهدة لإقامة حكومة شراكة وطنية عراقية تمهيداً لمنهج التوافق في الحكم، متناسين ما قد ينتج عنهُ من تداعيات ما يزال المواطن العراقي يعاني منها.[1]

ثم شهد العراق نوعاً جديداً من المحاصصة، وهي المحاصصة الحزبية. فالجميع يعلم أن النظام الحزبي في العراق بعد عام 2003م أظهر لنا عددا كبيرا وغير مسبوق من الأحزاب والتيارات السياسية لدرجة صَعُب حينها اقتراح اسم ما لحزب سياسي جديد؛ لكون هذا الاسم قد سجل باسم حزب سياسي سابق، وهذا التعدد الحزبي لم يأتِ من فراغ في ظل سيادة أنموذج الحزب الواحد لمدة طويلة في العراق، إلا أن هذه التعددية لم تكن مثمرة بقدر ما كانت محاصصة سياسية بحتة يبحث من خلالها كل حزب عن مصلحته الخاصة. فالمحاصصة الحزبية هذه لم تأتِ لصالح الواقع الخدمي والأمني بقدر ما جاءت لإرضاء المشاركين في النسق السياسي العراقي، ولأجلهم تم استحداث وزارات جديدة بدلا من ترشيقها في الحكومات السابقة والتي وصلت لأكثر من (40) وزارة، واستحداث ثلاث نواب لرئيس الوزراء ورئيس الجمهورية، ونائبين لرئيس مجلس النواب، وقد تمت هذه المحاصصة تحت عباءة الطائفية على الرغم من رفض الشعب والمرجعية لهكذا ممارسات. هذا النوع من المحاصصة استفحل بدرجة كبيرة بعد الانتخابات البرلمانية الثانية التي كان حينها السياسيون العراقيون عاجزين عن تشكيل حكومة عراقية لأكثر من ثلاثة أشهر، والتي تشكلت لاحقاً وفق نظرية (خذ وأعطِ) وفق تفسير مشوّه للمحاصصة الديمقراطية.[2]

إن مشكلة المحاصصة الحزبية في العراق تكمن في أن أقطابها لا يدركون مفهوم العمل الحزبي أو معنى التحزب، فما يفهمونه هو مصالحهم الحزبية قبل كل شيء، فكل حزب يريد نصيبه من التمثيل البرلماني والحكومي وكأنه وقف سياسي له، لا يحق للآخرين الاقتراب منه بغض النظر عن مدى كفاءة أعضاء الحزب المرشحين لتولي تلك المناصب من عدمها.

وفي المدة الأخيرة، شهد العراق – على ما يبدو – نوعاً جديداً من المحاصصة (محاصصة تكنوقراطية)، فمنذُ اندلاع الاحتجاجات العراقية المطالبة بالإصلاح ومحاسبة السراق والمفسدين، برز مصطلح التكنوقراط بقوة في الخطاب السياسي العراقي، والتكنوقراط كلمة يونانية تتكون من

(1) سعد البزاز ، المحاصصة السياسية وأثرها في الاستقرار السياسي للعراق ، المصدر السابق.

(2) حسن سعد عبد الحميد ، مشهد المحاصصة في العراق ، جريدة الزمان 16/ 3 / 2016 .

مقطعين: (تكنو) وتعني فنيا أو تقنيا، و (قراط) أو (كراتس) وتعني سلطة أو حكم وهي إشارة إلى تشكيل حكومة الكفاءات والطبقات المهنية الرفيعة، أي تشكيل حكومة متخصصة من أهل الخبرة والدراية في المجالات كافة، حكومة غير متحزبة وبعيدة عن التخندق الطائفي والسياسي.

وبقدر تعلق الأمر بالعراق وفي خضم المشاكل التي يعاني منها على الأصعدة كافة، برزت المطالبات نحو تشكيل حكومة تكنوقراط مهنية تتضمن أصحاب الكفاءة والنزاهة الوطنية العابرة للهويات الفرعية الطائفية، إلا أن هذه المطالبات اصطدمت بهواجس الكتل السياسية المنقسمة على نفسها والتي ترى في وزرائها الحاليين شخصيات تكنوقراط تارة ، وتارة أخرى متحججة بالسياقات القانونية والدستورية المعمول بها في العراق، فمما لاشك فيه أن العمل بالدستور والقانون مطلب أساس وهو أمر ليس ببعيد عن فلسفة عمل حكومة التكنوقراط ، لكن يبدو أن الكتل السياسية قد فهمتها ضمن عقلية المحاصصة الطائفية والحزبية في ظل رفض بعض تلك الكتل من استبدال وزرائها بآخرين، والذي يبدو أنها لا تريد أن تغادر فلسفة المحاصصة الأولى والثانية التي تطرقنا إليهما سابقاً، أي إنها تريد حكومة تكنوقراط وفق مقاييسها الخاصة. فتلك الكثل السياسية لديها شخصنة قوية ومفرطة لبعض شخوصها التي ترى فيهم الحل الأمثل لإعادة بناء الدولة ومؤسساتها وإن كان الأمر يسير وفق الاستقطاب القومي والطائفي.[1]

الخاتمة :

هنالك حديث مبالغ به جداً عن (الفيسفساء العراقية) وتنوع المجتمع العراقي، الخ فيبدوا الأمر كما لو أن الشعب العراقي (الملوم) من الأقوام والطوائف التي لا تعد ولا تحصى، بينما الواقع والأرقام تقول لنا الحقيقة التالية:

إن المجتمع العراقي يعد من بين مجتمعات العالم المعقولة الانسجام والتوازن من النواحي القومية واللغوية والدينية، و لا ننسى انه حوالي 80٪ من العراقيين ناطقين بالعربية، وان حوالي 95٪ مسلمين ، أما الأكراد فهم بحدود الـ 15٪، ورغم أنهم يتميزون عن العرب بلغاتهم وبيئتهم الجبلية ، إلاّ أنهم يجتمعون مع باقي العراقيين بالانتماء إلى الدين الإسلامي مع مشتركات تاريخية وجغرافية وثقافية وسكانية لا تحصى. فهل هنالك تجانس أقوامي وديني أفضل من هذا ؟ .

(1) سعد البزاز ، المصدر السابق .

إن قوة المشاكل والأزمات السياسية وتأثيرها الحاسم نابع من ضعف الهوية العراقية لدى النخبة السياسية، أو بصورة أوضح يمكن القولان الانقسام الطائفي الذي يمزق ويضعف الغالبية العربية من النخبة السياسية ، منذ سنوات وحتى الآن ، إن هذا الانقسام الطائفي والقومي سياسيا هو لب وجوهر أزمة الهوية العراقية، وما القضية الكردية وأزمة الثقة بين السنة والشيعة إلاّ نتيجة طبيعية لهذا الانقسام الطائفي لعرب العراق قبل غيرهم .

إن المشكلة في عراق اليوم هو أن الصراع على السلطة وسعي كل طرف إلى تثبيت وجوده في الدولة قد انسحب بالطبع إلى وجود وشخصية المجتمع، وكما سبق وقلنا، إن طبيعة المجتمع العراقي تتجسد وراء الانتماء الطائفي والعشائري (القبلي). فلا توجد مشكلة بين الشيعة والسنة أو بين العرب و الكرد، بقدر ما يتعلق الأمر بوجود ومشاركة كل منهما في سدة الحكم، دعم ذلك وجود التنظيمات الإرهابية التي يتزعمها تنظيم القاعدة سابقا و داعش حاليا، والذي سعى ونجح إلى حد كبير في استغلال الخلافات السياسية، وجهود بناء الدولة، في إضعاف وتفتيت المجتمع العراقي، إذ حدثت مشاكل طائفية بالفعل وصلت إلى أوجها عامي 2006 و2007 .

وقد زاد الوضع تعاسة وتعقيداً إن النخب العراقية منذ تأسيس الدولة العراقية وحتى الآن، قد تجاهلت عن سابق إصرار (موضوع الهوية العراقية) الممزقة طائفياً ثم أقواميا فبدلاً من أن تعالج هذا المرض الوطني الخطير المتمثل خصوصاً بالانقسام الطائفي، لجأت إلى مشاريع حزبية تقسيمية طائفية وقومية وأممية عمقت جراح الهوية بدلاً من مداواتها .

ومن هنا نجد أن المطلوب من صناع القرار في العراق ما يأتي:

1- تجاوز حالة المحاصصة الطائفية وتغليب الهويات الوطنية على حساب الهويات الفرعية .
2- إن مستقبل العملية السياسية في العراق مرهون بشرعية الإنجاز على أرض الواقع، وإعطاء الأولوية للمواطن في رسم السياسات العامة .
3- من الضروري تبني مشروع سياسي بعيد كل البعد عن ظاهرة شخصنة السلطة يعمل على تفكيك مشاكل المجتمع العراقي وحلها كلاً على حده .
4- إن إعادة بناء الدولة العراقية في ظل مشهد المحاصصة لم يعد مقبولاً، فالحاجة تدعو إلى مأسسة حقيقية قائمة على مبدأ سيادة القانون، وجعل التعددية السياسية ساحة للتنافس الإيجابي بعيدة عن الولاءات الفرعية .

5- إن بناء دولة المؤسسات في العراق أمر ممكن، وهو الضامن الوحيد والأمثل لاستيعاب المجتمع وتعبئته وتوظيفه في تعزيز دور الدولة .

6- ينبغي إعادة النظر بأطر العمل الحزبي في العراق، وضرورة أن يستند على أسس سليمة وصحيحة تعتمد الهوية الوطنية والولاء الوطني وتعديل مسار العمل الحزبي وحصوله على شرعية الشعب بجميع أطيافه ومكوناته لبناء وطن جديد موحد خال من الديكتاتورية والتسلط والطائفية السياسية والتطرف العرقي والإثني .

مقالات العدد الاول

استراتيجية التاريخ واشكاليات المجتمع المعاصر

أ.د. صباح مهدي رميض

لا شك ان التاريخ يشكل بعدا اساسيا من ابعاد الوجود البشري، فوجود الانسان ليس بوصفه شخصا فقط ولا بعلاقاته التفاعلية مع غيره ايضا، بل وجوده وجود تاريخي مرتبط بثنائية الزمان والمكان، ومن هنا تتخاطر اسئلة تتعلق باستراتيجية التعامل مع التاريخ، منها متى تكون معرفتنا بالتاريخ معرفة موضوعية؟ وهل تفيدنا هذه المعرفة في الكشف عن منطق التاريخ وصيرورته؟ وكيف نقيّم مسيرة الانسان في صنع الاحداث والوقائع في حقب التاريخ المتعددة؟

ولغرض الاجابة على كل هذه التساؤلات لابد من فهم التاريخ والتعاطي مع استراتيجيته المتفاعلة، وتوظيف المنهج الاشكالي في دراسته بوصفه منظومة تنتج داخل فكر معين ، وهو في طور الاعداد والنضوج، الهدف منه وضع حلول ومعالجات لمشكلات المجتمع، ومن ثم معرفة المقاربات الاقتصادية والسايكولوجية والسيوسيولوجية والاركولوجية، وتوظيفها في دراسات التاريخ المتعددة بعد تشخيص المشكلة، وهذا الامر يلزم العودة الى اعماق التاريخ والبحث عن وقائع متشابهة ، وهنا يتفق العديد من مفكري التاريخ على ان المشكلات القائمة لابد ان تكون لها جذور في الماضي، اذ ان الشريط الرابط بين المشكلة القائمة وخلفياتها يفتح نوافذ ويسارع في وضع الحلول والمعالجات المطلوبة .

وفي ضوء ماتم عرضه بشأن منهج الاشكالية في التاريخ ، يلزم اعادة النظر في المنهج الوصفي السردي الذي تصدر مناهج دراسات التاريخ في العقود الاربعة الاخيرة ، وفي الوقت ذاته يلزم التفكير في وضع بناء معرفي جديد لموضوعات التاريخ قائم على تحديد المشكلة وصياغة الفرضيات وبيان الرؤى والاهداف والمعالجات وتطبيق الطريقة التاريخية Historical methed في اتجاهها الموضوعي الفاعل. ونبتعد عن تلك المقدمات الكلاسيكية الرتيبة المعروفة بالوصف والانشاء الذي يبعث الملل وشرود الذهن لدى القارئ .

اجمعت معظم الدراسات الابستمولوجية على ان اهم خطوة يقوم بها المؤرخ هي الانطلاق في حدود مساحة المشكلة التي هو بصدد دراستها من البداية حتى النهاية ، وهنا يظهر مفهوم (التاريخ الجديد) ، الذي يقود بدوره الى مفهوم آخر هو (جديد التاريخ) ، وبذلك تصبح الثنائية

قائمة على (التاريخ الجديد وجديد التاريخ) ، فهو اعادة بناء الماضي البشري على وفق رؤى وتصورات جديدة ، لذلك فان الثابت عند كل المؤرخين المحدثين عن الماضي المدرك وهو دائم بصيغته الاشكالية ، والذي يثير تساؤلات حول مشكلة حاضرة . ثم تأتي بعدها عمليات الفحص وتدقيق سجلات الماضي ووثائقه وارشيفاته وموارده على وفق خيال منبعث باتجاه الماضي .

وجدير بالاشارة الى ان المؤرخ يجب ان يضع في حساباته ان حقائق الماضي ليست حقائق مطلقة بل هي نسبية، لذا فان الواقعة التاريخية قد تكتب عدة مرات وعلى اوجه مختلفة ، لذا فهو بدونها يعتمد على وفق المتيسر من المصادر لديه، مع توظيف امكاناته وقدراته في تحليل الاسباب والنتائج .

لذا فأن روحية الكتابة التاريخية على وفق ماتم عرضه ستكون متجددة ومستمرة ومرتبطة بالتاكيد بتجديد مشكلات الانسان في زمنه الحاضر ، وهي كثيرة ومقلقة الى حد كبير، لذا فالانسان لايعيش حاضره مفصولا عن ماضه ، فيجب ان لايكون تفكيره في تاريخيه بوصفه زمنا غابرا مضى مليئا بالاحداث والوقائع فحسب، بل عليه فهم كيفية التأسيس لبناء منظومة الحلول والمعالجات بعد استنفار ماتخزنه الذاكرة الانسانية في الماضي لفهم الحاضر واستشراف المستقبل وهذه هي صيرورة التاريخ .

ان الانطلاق من استراتيجية فهم اشكالية التاريخ ستمكن المؤرخين من التحرر من سطوة الانماط التعليلية الجاهزة اولا، والاحكام الفكرية المسبقة ثانيا، ومن ثم فتح الابواب مشرعة في البحث والتقصي عن الحقائق، وعند ذاك نكون قد وضعنا اللبنات الحقيقية في تأسيس مدرسة تاريخية عراقية لها خصوصياتها وصفاتها المميزة.

الجذور التاريخية لليوم الدولي للاختفاء القصري

د. محمد عبدالرحمن عريف

اليوم الدولي للمختفين قصريًا الموافق لـ 30 أغسطس من كل عام هو ذكرى سنوية استحدثت للفت الانتباه إلى مصير الأفراد الذين سجنوا في أماكن وظروف سيئة، يجهل ذويهم أو ممثليهم القانونيين كل شيء. مما يمارس ضدهم جرائم الإخفاء، التي عادة ما تقترن بجرائم التعذيب، والتي تطال المختطف وتمارس عليه لفترات من الزمن قد تطول، ويظل خلالها الأهل والأقارب يتجرعون كأس المرارة والمعاناة بكاء على مصائر الأبناء، وتتمزق الأفئدة في محاوله منهم لالتماس الخبر والوقوف على أنباء تفيدهم هل هؤلاء الأبناء على قيد الحياه أم فارقوها لمكان أكثر رحمه وإنسانيه من واقع غير إنساني تمارس فيه عادة السلطات مثل تلك الجرائم بكل أريحيه.

المبادرة لهذا اليوم جاءت من اتحاد أمريكا اللاتينية لرابطات أقرباء المعتقلين المختفين، وهي منظمة غير حكومية تأسست في عام 1981 في كوستاريكا كرابطة محلية وإقليمية للجماعات التي تعمل بنشاط ضد السجن السري والاختفاء القسري في عدد من دول أمريكا اللاتينية.

العمل على موضوع السجن السري هو جزء هام من الأنشطة لعدد من الهيئات والمنظمات الدولية في مجالات تعزيز حقوق الإنسان والمساعدات الإنسانية، ومنها منظمة العفو الدولية ومكتب مفوض الأمم المتحدة السامي لحقوق الإنسان واللجنة الدولية للصليب الأحمر. اليوم الدولي للمختفين هو فرصة لتسليط الضوء على عمل هذه المؤسسات، وزيادة الوعي العام، والدعوة إلى التبرعات والمتطوعين.

في بعض الحالات، لجنة الصليب الأحمر الدولية هي المؤسسة الوحيدة التي يسمح لها بالوصول إلى فئات معينة من السجناء، وبالتالي تمكين الحد الأدنى من الاتصال والتفتيش حول المعاملة التي يلقونها.

يشكل السجن في ظل ظروف سرية أو غير معروفة انتهاكًا خطيرًا لبعض مفاهيم حقوق الإنسان في القانون الدولي الإنساني بما في ذلك حالات النزاع المسلح. الجمعية العامة للأمم المتحدة اعتمدت الإعلان المتعلق بحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري بموجب القرار 47/ 133 المؤرخ بـ 18 ديسمبر 1992. وتشير التقديرات بأن السجن السري يمارس في حوالي 30 بلدًا. فريق

مفوضية حقوق الإنسان العامل على حالات الاختفاء القسري سجل حوالي 46000 حالة اختفاء للأشخاص في ظروف مجهولة.

في 30 أغسطس 2008 قام التحالف الدولي لمكافحة حالات الاختفاء القسري، والتي تجمع المنظمات الأعضاء في الأسرة ومنظمات حقوق الإنسان من مختلف أنحاء العالم، وتكاتفت الجهود بمناسبة هذا الحدث العالمي للترويج وللتصديق على الاتفاقية الدولية لحماية جميع الأشخاص من الاختفاء القسري.

في اليوم العالم لمناهضة جرائم الإخفاء القسري نرفع أصوات هؤلاء الذين تغيبوا عنا بلا ذنب ولندعم حقوقهم وحقوقنا الأساسية في الحرية والكرامة الإنسانية. إنه يوم نرفع فيه الصوت ضد كل من يرتكب تلك الجرائم ونذكر العالم بقصص إنسانيه لضحايا الإخفاء القسري أحياء وأموات لأنه يوم للإنسانية.

الجمهوريّة في تونس من الجذور إلى الإعلان

نضال لبيض

تصمت العصور أحيانا فيتحدث التاريخ ويحدث أن تتحدث الحوادث فيه فتلتحق الذكرى بالذكرى وتلتحم التواريخ بالرموز. تصمت العصور ويصمت معها التاريخ فيتحوّل الصّمت بدوره إلى رمز يشير إلى النسيان ويومئ بالبنان إلى من آل بهم الأمر إلى الدثور. وصمت التاريخ عن بعض العروش الغابرة قد لا يصاحبه صمت عن بعض التحولات فيه و التي تتحوّل الى مجرّد مناسبات تذكّر بحدوثها ولا تتجاوز مراسم الإحياء والتذكير في حين ان التحوّل أحق بأكثر من ذلك وحريّ بالوقوف عند منعرجاته على مختلف الأصعدة بالدرس والتحليل ومن المناسبات في تونس الجديرة بهذا المقام هي مناسبة إعلان الجمهوريّة ، إذ جاء هذا النظام الجديد على أنقاض جملة من الحوادث مهّدت له وهيأت الظرف لإعلانه. جاءت الجمهوريّة وبمجيئها أصبحت الرعية مواطنين ومواطنات وحلّت الدّولة محلّ المملكة والوطن محلّ الديّار وبقدومها غاب التفريق بين الخاصّة والجمهور.

أعلنت الجمهوريّة والحق الإعلان عنها بتأسيس الدستور لها واحدث لها عيد احتفاء بذكراها وسام تقديرا وإكبارا لها ومفتي و وكيل قصر وشعار .

وقد ظهر لفظ الجمهوريّة res-publica لأوّل مرّة في روما وفكرة الجمهوريّة وجدت فيم بعد لدى فلاسفة الإغريق. والجمهوريّة لغة مشتقّة من فعل جمهر وجمهر الشيء بمعنى جمعه والقوم اجتمعوا جمهورا وهي مذكرها الجمهوري ومصدرها الجمهور ومن الدّال يمكن توليد مجموعة من الدلالات ولفظ الجمهوريّة بمعنى مصدرها كان ولازال يحمل بين طيّاته معنى العدد الكبير من الناس ويتناقض مع فكرة العدد القليل قرّر له ذلك لأنّ جمهور النّاس أي أكثرهم واغلبهم مجمعون عليه وبذلك فهي تدلّ على نظام يفترض فيه التعبير عن رأي العدد الأكبر من النّاس

وامتزج في لفظ الجمهورية في البداية معنيان يشير الأول إلى الديمقراطية ويدل الثاني على شكل نظام الحكم المختلف عن النظام الملكي و ذلك قبل ان تنفصل الديمقراطية عن الجمهورية و يتصل معناها بشكل معين من أنظمة الحكم. و يعني مفهوم الجمهورية في الفكر السياسي الذي تكون فيه السيادة للمجموعة لا للفرد للشعب لا للحاكم، واذا ما كانت السيادة ترجع للشعب فانه يكون على الشعب ممارستها لتحقيق وجود الجمهورية. وبذلك تكون النظام السياسي الذي يقع تعيين الحكام فيه عن طريق الانتخاب وهي تطلق اليوم على النظام الذي بمقتضاه يتولى شخص

رئاسة الدولة عن طريق الاقتراع لا عن طريق الوراثة. ثم إن الجمهورية اليوم أكثر من مجرد لفظ يحيل على معنى معين بل هي لفظ نستحضر من خلاله تصورا لنموذج سياسي مثالي.

ولا يمكن أن يتنزل الحديث عن فكرة الجمهورية في تونس إلا في إطار سياق تاريخي تتواصل فيه رواسب الماضي بما أضاف إليها الحاضر من معان و دلالات لذلك يتجه التوقف بداية عند جذور فكرة الجمهورية (أولا) قبل التطرق إلى مرحلة إعلان الجمهورية (ثانيا).

1-جذور فكرة الجمهورية

إن توخي الحذر والدقة أمران مطلوبان عند البحث عن عدد من المفاهيم والمؤسسات في الدول العربية الإسلامية حيث عمد بعض الباحثين إلى إسقاط بعض المفاهيم الغربية على التاريخ العربي الإسلامي رغم اختلاف المنظومتين الفكريتين ، والتي لا اثر فيها ولا تقارب بينها وبين المفاهيم أو المؤسسات المسقطة عليها، وإن إقامة الدليل على وجودها حجة على ان التاريخ الإسلامي عرفها قبل الغرب وبرهان على أن هذا الغرب هو الذي اقتبس من الفكر العربي الإسلامي وليس العكس.

وقد مثلت الخلافة في هذا السياق جمهورية لدى البعض كونها لا تقوم على توارث الحكم كما هو الشأن في الأنظمة الملكية بل تقوم على ضرورة عقد البيعة للإمام بالاختيار إلا أن اختيار الخليفة مقتصر على اهل الحل و العقد و يمكن ان تنعقد بيعته بخمسة او ثلاثة او حتى بواحد كما ان من يرقى الى كرسي الحكم سواء في الحكم الملكي او في حكم الخلافة فلا ينزله عنه الا الموت. وهذا ما يجرنا الى استقصاء فكرة الجمهورية وتبيان بعض ملامحها في الفكر العربي الإسلامي(ا) ثم في الفكر الإصلاحي التونسي(ب)

أ- الجمهورية في الفكر العربي الإسلامي

تتبوأ المعتزلة مكانة متميزة في الفكر العربي الإسلامي في عدد كبير من المسائل الفقهية والسياسية أبرزها شكل النظام السياسي ، ومن خلال ذلك فان الوقوف عند بعض ملامح فكرة الجمهورية هو بالأمر اليسير وليس بالامر العسير وذلك رغم اختلاف الأطر والأسس المعتمدة في اختيار الحكام.

احد أئمة المعتزلة يدعى بابي بكر و يكنى بالأصم رأى أن الإمامة لا تنعقد الا بإجماع الأمة عن بكرة أبيهم مما جعل البعض من الدول العربية يعتبرنه اول من بشر بالفكر الجماهيري لا بالجمهورية فقط. وفي ذات السياق أكدت الكرامية وهي فرقة ظهرت في النصف الأول من القرن

الثالث هجري سميت بالكرامية نسبة الى مؤسسها وصاحبها الأول محمد بن كرام السجستاني- على ان الإمامة تثبت بإجماع الأمة دون النص والتعيين.

وعلى الرغم من غياب الحلول والبدائل في صورة عدم تحقق الإجماع في شخص من يتولى الحكم كما انتصر كذلك غيلان الدمشقي –قبطي الأصل من مصر كان أبوه قد اسلم وصار من موالي عثمان بن عفان- لنفس الفكرة ورفض البيعة الصورية التي يعقدها نفر قليل لأحد الأمراء في عهد الدولة الأموية معتبرا الحكم حق لكل من كان قائما بالكتاب والسنة ولا تثبت أيضا إلا بالإجماع. وعن الأندلس اخبر ابن رشد عن أنواع السياسات فيها وهي السياسة الجماعية وسياسة الوحدانية وسياسة وحدة التسلط ليؤكد على ان أفضلها السياسة الجماعية وهي التي تقوم الرئاسة فيها على الاتفاق والانتخاب ، اذ لا فضل في هذه المدينة (و يقصد الأندلس) لأحد على احد.

غير انه كان لاتصال بعض الرحالة العرب بالغرب الفضل في اكتشاف هذا الشكل من الأنظمة السياسية، اذ يشير الطهطاوي في "تخليص الإبريز في تلخيص باريس" الى "انقسام طائفتين تحاول الأولى ان يكون الحكم بالكلية للرعية وذلك على عكس الثانية ولما كانت الرعية لا يمكن ان تكون حاكمة ومحكومة وجب ان توكل نيابة عنها من تختاره للحكم وهذا هو حكم الجمهورية". والطهطاوي ذاته احتفظ برأيه عن هذا النوع من الجمهورية ويشترك في ذلك مع عدد من الرحالة العرب في الاحتفاظ برأيهم من فكرة الجمهورية ، ولا استبعد ان يكون مرد ذلك التحسب من ردود فعل على موقف يتناقض يومئذ مع المواقف الرسمية السائدة. ولم يشذ عن أسلوب عدم الإفصاح بالرأي لدى الجيل الأول من الرحالة العرب سوى المسيحي فرانسيس مراش – وهو فرانسيس بن فتح الله بن نصر الله مراش (1836_1873)- والذي أبدى إعجابه بحرية الفرنسيين في مقدمة كتابه "رحلة الى باريس" لقوله "فكم سرور واندهاش للأعين عندما ترى هذه الأمة الفرنساوية رافلة بأذيال الحرية الكاملة بدون خشية من التعثر بأشواك سيادة بربرية...لابسة ثياب الدين والدنيا...ولا ذعر من سطوات شريعة مارقة".

وعلى اثر إلغاء الخلافة العثمانية تحولت فكرة الجمهورية الى مطلب تبناه الكثيرون اذكر منهم معروف الرصافي –كردي النسب (1875_1945)- الذي خاطب الأمة قائلا

إن الحكومة وهي جمهورية كشفت كل قلب مضلل
سارت إلى نضج العباد بسيرة أبدت لهم حمق الزمان الأول

غير ان فكرة الجمهورية لم تلق دائما القبول و الترحاب من قبل بعض المفكرين حيث لم يخف محمد إقبال احترازه عن فكرتي الانتخاب و الجمهورية في قوله

بدا السر في قوله من أريب وما كان قبله يعلن
نظام الجماهير حكم به تعد العباد ولا توزن

فالعدد عند محمد إقبال ليس مقياس بل المقياس عنده هو الوزن العلمي وان كان للعدد مقام فهو ليس بالمقام الأول. ورغم كل التحفظات حول فكرة الجمهورية إلا أنها ما فتئت في الانتشار بحمولتها الغربية على الأقل في مستوى شكل النظام ، ولعل من بين أوائل الأحزاب الجمهورية في البلاد العربية الحرية بالذكر هو الحزب الجمهوري السوداني الذي انشاه محمود محمد طه في 26 أكتوبر 1945 الذي تبنى مع رفاقه فكرة قيام حكم جمهوري في استقلال تام عن مصر ودون اي تحالف مع التاج البريطاني. و من الأمثلة الأخرى عن الجمهوريات العربية الإسلامية جمهورية طرابلس التي تم الإعلان عنها سنة 1918 بقيادة سليمان باشا الباروني. و في 29 من أكتوبر 1923 وقع الإعلان عن قيام الجمهورية التركية و في المغرب الأقصى أعلن عبد الكريم الخطابي –مفكر و صلح من المغرب الأقصى- عن قيام دولة الجمهورية الريفية يوم 18 جانفي 1923 هذا وقد أشار الطهطاوي إلى قيام جمهورية الصعيد المصري في أواسط القرن 18 بزعامة احد كبار الشيوخ الملتزمين.

ان الغاية من استعراض جذور فكرة الجمهورية في الفكر العربي الإسلامي هو تبيان أهم الاتجاهات التي تبنت هذا الفكر والتي كان لها اثر في تونس خاصة زمن رجال الإصلاح المتطلعين للتبديل والتغيير.

ب-الجمهورية في الفكر السياسي الإصلاحي التونسي

الفكر السياسي هو جملة من القناعات و الرؤى التي تتبناها النخبة من مثقفين ومفكرين والتي ينظرون لها و يعملون على تكريسها في الحياة السياسية. اشترك المصلحون التونسيون في نهاية القرن التاسع عشر مع سائر المصلحين في الدول العربية الإسلامية و انخرطوا معهم في الدعوة إلى الإصلاح إلا أنها كانت دعوة شبه خاصة اذ تعتمد على المراوحة بين الأبعاد التقليدية و الأبعاد الحداثية تتضح من خلال الدعوة الى الرجوع لقواعد الدين ودعوة في ذات الوقت الى الاستلهام من الغرب استلهاما يكون متسقا مع أحكام الإسلام. ومن ابرز المفكرين و المصلحين ابن ابي الضياف على

سبيل الذكر فهو لم يتردد في تبيان ايجابيات الحكم الجمهوري للخاصة والعامة على حد السواء غير ان ذلك كان مقترن بحرصه على التذكير في الآن ذاته على ان قواعد الملة الإسلامية لا تقتضي هذا الصنف من الحكم على حد قوله فابن ابي الضياف الذي قدم التعريف الأتي ذكره للملك الجمهوري على كونه "ان الناس يقدمون رجلا منهم باختيارهم يلبي سياستهم ومصالحهم لمدة معينة ولما تتم يخلفه غيره باختيارهم أيضا وهلم جرا... هو كواحد منهم ينفذ ما يتفق عليه الرأي من أهل المشورة و لهم في ذلك قوانين يحترمونها احترام الشرائع المقدسة ويقفون عند حدها" غير انه سرعان ما يعود صاحب الإتحاف ليردفه بوجوب الإمامة في الإسلام بقوله "وقواعد الملة التونسية لا تقتضي هذا الصنف الجمهوري لان نصب الإمامة واجب على الأمة شرعا يأثمون بتركه".

وعلى نهجه سار خير الدين باشا ومحمد بيرم التونسي اللذان التزما عدم الجرأة و اكتفيا بمجرد سرد الأحداث و الإشارة إلى انتقال بعض الممالك الأوروبية الى جمهوريات دون إبراز اي موقف او إبداء اي رأي على الإطلاق ولعل ذلك راجع الى اتقاء شر أولي الأمر في الايالة التونسية خاصة و الإمبراطورية العثمانية عامة. وبعد إلغاء الخلافة العثمانية طرحت مسالة الجمهورية في تونس بصورة أكثر جدية حيث انقسم التونسيون بين مناصر للإصلاحات التي ادخلها كمال أتاتورك وبين متشبث بالخلافة فتأسست لجنة الخلافة آنذاك برئاسة احمد توفيق المدني التي صاحبها اتجاه اخر من التونسيين مساندين للإصلاحات الجديدة بتركيا.

وعلى اثر عزل محمد المنصف باي عن كرسي الحكم اسر لأحد المؤرخين الفرنسيين الذين تحولوا لزيارته في منفاه بمدينة "بو" الفرنسية بأنه لو عاد الى كرسي الحكم في تونس سوف يتولى بنفسه إعلان الجمهورية واسر بذلك أيضا إلى جلولي فارس عندما زاره في منفاه وذلك ما أكده في خطابه بالمجلس التأسيسي يوم الإعلان.

وعلى صعيد اخر وقبل كل هذا بأمد عرفت تونس في القرن الثامن عشر نوعا من الحكم الجمهوري ففي معاهدة السلم المبرمة مع فرنسا في غرة جويلية 1728 وقعت الإشارة الى تونس كجمهورية صلب المعاهدة في ثلاث مناسبات. ولعل السبب الأقرب الى اعتبار تونس جمهورية في القرن 18 يعود الى ان الحاكم آنذاك كان منتخبا من الديوان ولم يكن حينها الحكم وراثيا وقبل هذا التاريخ بكثير وبما يزيد عن القرن و تحديدا في سنة 1625 احد مبعوثي مدينة البندقية الى تونس رأى فيها يومئذ "جمهورية شعبية تمارس ضربا من ضروب الديمقراطية العسكرية".

ومن القرن السابع عشر لم يقع الإعلان عن الجمهورية الا في أواسط القرن العشرين.

2-إعلان الجمهورية

ان الـدارس لتـاريخ الحركـة الوطنيـة الإصـلاحية التونـسية و لجـذورها لـن تغيـب عنـه الروابط الدقيقة والدائمة بين الإرهاصات الأولى لبروز فكر سياسي تونسي. وتدقيقا في ابرز المحطات المفصلية التحولية سواء القانونية او السياسية نلاحظ ان إعلان الجمهورية قد سبقه التلمـيح(ا) قبـل التصريح (ب).

ا-التلميح

لقد مثل كل من ابن أبي الضياف بكتابه "تونس الشهيدة" و لطاهر الحداد صاحب كتاب "امرأتنا في الشريعة والمجتمع" وإشعار أبو القاسم الـشابي عبقريـة تـونس الأدبيـة الخالـدة وكتابـات وخطـب المناضل علي بلهوان والدكتور الحبيب ثامر مؤلف "هذه تونس" والفاضل بن عاشـور الـشيخ النقـابي الوطني وخطابات وتوجهات الزعيم الحبيب بورقيبة الحداثية و تطول القائمـة... وقـد شـكلت كـل هذه الأسماء و غيرها كثير مجموع النخبة التونسية ممثلـة الاتجـاه التحـديثي الليبرالـي فهـي متـشبعة بفلسفة الأنوار الأوروبية وبالفلسفة الوضعية. وقد كانت هذه القيادات بمختلف مواقعها تتفاعل مع حاضرها آنذاك وتتطلع الى المستقبل وكانت تطلعاتها تستند الى وضع نظام يأخـذ بمبـدأ الفـصل بـين السلطات وانتخاب برلمان عن طريق الاقتراع العام وقد كانت هذه القيادات على بصيرة ثاقبة وفطنة راجحة وواعية بتحديات المرحلة وصعوباتها فمن جهة كان هناك نظام الحماية الفرنـسية المفـروض على البلاد التونسية ومن جهة أخرى هناك طرف ثاني ممضي على اتفاقية الحماية وهو الباي رئـيس البلاد الساعي إلى الحفاظ على موقعه و سلطاته.

و قد كانت ثقافة قيادات الحركة الوطنية في اغلبها مستمدة مـن المبـادئ التحرريـة و الأفكـار الليبرالية ومتشبعة بتاريخ تونس لا سيما ما خلفته أثار التعـسف والتـسلط الـذي عاشـه التونـسيون زمن البايات. فكرة الجمهورية لم تأت من لا شيء لكـن مـسار الحركـة الوطنيـة أنـضجها وسـرعها وقد مهدت لهذه المرحلة مجموعة من الأوامر العلية الصادرة عن الباي نفسه.

وقد بدأت مرحلة الإعداد للجمهورية بالتلميح منذ إصدار الأمر العلـي بتـاريخ 29 ديـسمبر 1955 والمتعلق بإحداث مجلس قومي تأسيسي منتخب من الشعب بعـد ان "تم لهاتـه الأمـة التونـسية بفضل الله وجهادها المستميت جانب مما تصبوا إليه من الاسـتقلال بإنهـاء الحكـم الفرنـسي ونظـام الحماية وتبديلهما بالحكم الذاتي في كنف سيادة تونسية موحدة...لذا نزف الى شعبنا الـوفي البـشرى

المباركة بعزمنا على انجاز ما وعدنا به بتوقيعنا الأمر العلي القاضي بإحداث مجلس تأسيسي" و هذا وفقا لنص النطق الملكي السامي بتاريخ 29 ديسمبر 1955.

و بتاريخ 25 مارس 1956 وقع انتخاب المجلس القومي التأسيسي خمسة أيام بعد الحصول على الاستقلال التام بهدف وضع الدستور للبلاد و حصل التنافس آنذاك على 98 مقعدا فازت بها الجبهة القومية المتالفة من الحزب الحر الدستوري والمنظمات الوطنية وهو ما جعل النواب منتمين لنفس التوجه السياسي والفكري والثقافي الشيء الذي يفسر ان إعلان الجمهورية وقعت الموافقة عليه بالإجماع دونما اي اعتراض.

وفي 7 افريل 1956 وقع بمقتضى أمر علي من الباي إلحاق الحرس الملكي بالجيش.

وانعقاد أول جلسة للمجلس التأسيسي بتاريخ 8 افريل 1956 والتي تميزت بخطاب رئيسه الحبيب بورقيبة والذي ركز فيه على ان السيادة في تونس للشعب وفقا لما جاء في خطابه "تجتمعون في هذا المجلس التأسيسي بإرادة الشعب...فالسيادة في تونس سيادة الشعب صاحبها الشرعي والحقيقي...فلا يخفاكم ان دولتنا التونسية ... قد اعتراها قبل الحماية وأثناءها الاضطراب و الخلل. ولا يمكن ان يستمر هذا الوضع المزري... فنحن اليوم بصدد بعث دولة جديدة".

تلاه أمر علي آخر بتاريخ 15 افريل 1956 الذي ورد فيه "عين منقذ الأمة وقائد الشعب المجاهد الأكبر الحبيب بورقيبة وزيرا اكبر رئيسا للحكومة و وزيرا للخارجية و وزيرا للدفاع الوطني". فالذي عين شكلا هو الباي والمعين هو القائد والمجاهد والمنقذ للأمة بما في ذلك الباي نفسه.

وتسارعت بعد ذلك النصوص لتقليص اختصاصات الباي و للحد من الامتيازات التي تتمتع بها العائلة الحسينية. ففي 26 افريل 1956 صدر امر علي يتعلق بتحوير إدارة الملك الخاص للباي ودائرته السنية ليضع هذه الإدارة تحت تصرف متصرف للحكومة بإشراف وزير العدل.

وفي 30 من ماي 1956 صدر امر علي اخر يتعلق بضبط حقوق و واجبات أعضاء الأسرة الحسينية المالكة ليبطل جميع الامتيازات و الإعفاءات و الحصانات مهما كان نوعها والمعترف بها قبل صدور هذا الأمر لأفراد العائلة الحسينية. وفي الحادي و العشرين من جوان 1956 وقع تعويض شعار البايات القديم الذي يعود تاريخه الى احمد باي (1805-1855) بشعار جديد يحتوي على رمز الحرية والعدالة والنظام. وبنفس التاريخ صدر امر علي آخر يتعلق بإدارة تراث الباي الخاص ودائرته السنية والملك الخاص للدولة المخصص للتاج ويقضي بوضعها تحت تصرف وكيل يعين من

بين متصرفي الحكومة التونسية ولهذا الوكيل الحق في إدارة الأملاك المنقولة وغير المنقولة التابعة للباي والتصرف فيها.

وبتاريخ 30 جوان 1956 الحق الباي العسة المصونة الخاصة به بالجيش التونسي بمقتضى الأمر العلي المتعلق بإحداث جيش تونسي. وفي 3 اوت 1956 صدر امر علي لتنقيح الأمر الصادر في 21 سبتمبر 1955 والمتعلق بتنظيم السلط العمومية تنظيما مؤقتا ليسحب من الباي السلطة الترتيبية وليترك له فقط تعيين الاغة وتعيين الحكام من الدرجة الأولى.

وبذلك أصبح عرش الباي في تونس يحتضر ينتظر قضاء نحبه فلم يعد له سوى بضعة قصور وتاج ليس له أحقية التصرف فيه و كما قال احد المؤرخين "صار النظام الملكي بتونس هيكلا أجوف مثل الثمرة التي قضت أمدها الطبيعي ثم جفت ويبست فتراها تنحت عن غصنها بدون كلفة وتكاد لا تسمع لسقوطها دوياً. فبعد هذا التلميح و التمهيد لم يعد يخفى على احد ان إعلان الجمهورية في تونس أصبح مسالة وقت ليس الا وحسب صحيفة العمل التونسية انعقد بتاريخ 23 جويلية 1957 اجتماع للديوان السياسي للحزب الحر الدستوري المتالف من السادة الحبيب بورقيبة و الباهي الادغم و المنجي سليم وعلي البلهوان و جلولي فارس والهادي نويرة و محمد المصمودي و الطيب المهيري والصادق المقدم واحمد التليلي وعبد الله فرحات وعبد المجيد شاكر واحمد المستيري والفرجاني بن الحاج عمار والحبيب عاشور والمرجح انه خلاله وقع الاتفاق عن مختلف الترتيبات لإعلان الجمهورية بما في ذلك نص الإعلان وطريقة الاقتراع عليه ، اذ ورد في صحيفة العمل التونسية انه "من المتوقع مشاركة السيدان رئيس الحكومة ونائبه في المناقشة بصفتيهما النيابية و الحزبية و ان توقف الجلسة بعد الحوصلة التي سيقوم بها زعيم الامة ليتمكن المجلس من تحرير لائحة تهدف الى إلغاء النظام الملكي وتكليف رئيس الحكومة بصفة مؤقتة برئاسة الدولة ومباشرة جميع الاختصاصات التي كانت ممنوحة للملك بما في ذلك إمضاء الدستور الذي سيسنه المجلس التأسيسي والذي سيضع الدواليب القارة للدولة".

ان ما ورد بصحيفة العمل قريب من حيث صياغته من نص الإعلان ذاته هذا النص الذي لم يقرا الا في الساعة السادسة مساء معلنا سقوط العرش الحسيني دون دوي يوم 25 جويلية 1957 لتدوي بذلك مائة طلقة مدفعية في فضاء تونس احتفالا بمولد الجمهورية بعد التصريح بذلك.

ب- التصريح

"نحن نواب الأمة التونسية أعضاء المجلس القومي التأسيسي بمقتضى ما لنا من نفوذ كامل مستمد من الشعب و تدعيما لأركان استقلال الدولة وسيادة الشعب وسيرا في طريق النظام الديمقراطي الذي هو وجهة المجلس في تسطير الدستور".

يؤكد مطلع نص الإعلان على ان أعضاء المجلس القومي التأسيسي هم نواب الأمة التونسية والمجلس القومي التأسيسي وقع انتخاب أعضائه انتخابا عاما حرا و مباشرا مراعاة في ذلك لمبادئ الديمقراطية. و كان المجلس من وراء هذا التأكيد بحث على التحرر من الشرعية الملكية و التأسيس لشرعية جديدة متأتية من شرعية صناديق الاقتراع. و بالبحث عن الأساليب الديمقراطية في وضع الدساتير أشير الى ان التجارب الدولية تعتمد طريقتين و هما طريقة الجمعية التأسيسية و طريقة الاستفتاء التأسيسي. فالطريقة الأولى تقوم على انتخاب الشعب لجمعية تأسيسية يعهد لها مهمة وضع الدستور وينتهي دورها بانتهائه اما الطريقة الثانية فهي طريقة الاستفتاء التأسيسي حيث تدعي من خلاله هيئة المواطنين الى التعبير عن رأيها تجاه مشروع قرار معين. وقد طبقت تونس أسلوب الطريقة الأولى حيث انتخب في 25 مارس 1956 أعضاء المجلس التأسيسي لوضع الدستور الصادر في 1 جوان 1959.

الاستناد الى شرعية الشعب و سيادة الأمة في ان واحد مرد القطع نهائيا مع المشروعية الملكية التي يرتكز عليها نظام الباي في تونس. ومعنى السيادة ان لكل فرد من أفراد الشعب جزء من هذه السيادة كون هذه الأخيرة قابلة للتقسيم و التجزئة وأنها أيضا لا تتلاءم مع النظام الملكي وبالتالي فهي تستوجب قيام نظام جمهوري وتفضي سيادة الشعب الى الديمقراطية المباشرة وشبه المباشرة ويكون النائب وكيل عن ناخبيه.

"تتخذ باسم الشعب القرار التالي النافذ المفعول حالا

أولا نلغي النظام الملكي إلغاء تاما"

وبذلك يقطع إعلان الجمهورية نهائيا مع النظام الملكي الذي دام أكثر من 15 قرنا ومع الحكم الحسيني الذي دام 252 سنة منها 75 سنة تحت الحماية تولى خلالها الحكم 19 بايا. وعملية الإلغاء تقتضي إحلال مشروعية جديدة تعوض المشروعية الملكية و تثبت نظاما سياسيا جديدا. ويتساءل البعض هل ان إلغاء الملكية فيه تجاوز و تمرد على الأمر العلي المؤرخ في 29 ديسمبر 1955 الذي احدث المجلس التأسيسي و حدد مهمته. غير ان امتلاك السلطة لا يضفي الشرعية على القيادة اذا

فقدت هذه القيادة ثقة الشعب وخانت أمانة حماية الوطن و المواطن وبذلك تتحول سلطة المجلس من سلطة فرعية الى سلطة أصلية قادرة على تحديد صلاحياتها بنفسها.

"ثانيا نعلن ان تونس دولة جمهورية"

نص الإعلان لم يعرف مصطلح الجمهورية وهي تعرف بكونها شكل من الحكم حيث النفوذ و القوة ليسا حكرا على شخص و حيث تؤول رئاسة الدولة بالانتخاب و الجمهورية تعني ان إقرار سيادة الشعب المصدر الوحيد والأصلي للشرعية فهي نقيض الحكم الملكي بالوراثة. فالجمهورية مفهوم يقترن بالدولة وبالدستور الضامن للحريات والمساواة بين المواطنين لمبدأ تفريق السلط المجمعة بين يدي الملك.

ثالثا: نكلف رئيس الحكومة السيد الحبيب بورقيبة بمهام رئاسة الدولة على حالها الحاضر ريثما يدخل الدستور في حيز التطبيق و نطلق عليه لقب رئيس الجمهورية".

في ذات جلسة إلغاء النظام الملكي و إعلان النظام الجمهوري وقعت تسمية "المجاهد الأكبر ومنقذ الأمة و قائد الشعب الحبيب بورقيبة (حسب ما وقع تسميته وفقا للأمر العلي بتاريخ 15 افريل 1956) رئيسا للجمهورية. هذه التسمية هي تكليف ضروري حتى لا يحدث فراغ في أعلى هرم السلطة وذلك إلى حين صدور دستور للبلاد و تنظيم انتخابات.

رابعا نكلف الحكومة بتنفيذ هذا القرار وباتخاذ التدابير اللازمة لصيانة النظام الجمهوري كما نكلف كلا من رئيس المجلس و الأمين العام لمكتب المجلس و الحكومة بإبلاغ هذا القرار الى الخاص والعام"

وقع آنذاك تكليف علي البلهوان المقرر العام للدستور بإبلاغ آخر الحسينيين قرار المجلس القومي التأسيسي وتوجه الى القصر الملكي وتلا للباي محمد الأمين إعلان الجمهورية.

تاريخ المغرب القديم وإشكالية بداية العصر التاريخي

د. عبد اللطيف الركيك

عند الحديث عن تاريخ المغرب القديم تنتصب أمامنا إشكاليات منهجية ومفاهيمية عويصة تأتي في مقدمتها إشكالية بداية العصر التاريخي، ومؤدى هذا الإشكال نختزله في السؤال الآتي: متى بدأ العصر التاريخي في المغرب القديم؟ وما هي الأحداث التاريخية التي أسست لذلك؟

ما رسخ في الكتابات التاريخية الأجنبية على وجه الخصوص، وما وقع ترسيمه فيما بعد، هو أن فجر التاريخ(استعمال الكتابة) في المغرب القديم يبتدأ بقدوم البحارة الفينيقيين إلى السواحل المغربية في أواخر الألفية الثانية ق. م(حوالي 1200 ق.م). فقد نقلت لنا المصادر الإغريقية واللاتينية بأن هؤلاء التجار المشارقة، الذين كانوا بالكاد قد توصلوا في بلادهم الأم بفينيقيا إلى اختراع الأبجدية، قد أنشؤوا المدن على امتداد المرافئ المغربية. هذه الإشارات المصدرية لا يمكن اعتبارها تاريخا ينطوي على معطيات وحقائق تاريخية، وإنما تبقى في حيز النقد والمسائلة التاريخية بمقابلتها بمعطيات أخرى وباعتماد مناهج صارمة. إننا، بصدد ما ذكره الإغريق واللاتين، نبقى في منزلة بين أقوال وروايات، وبين معطيات العلم من خلال تحريات الأبحاث الأثرية الرصينة غير الموجّهة وغير المتأثرة بتلك المعلومات.

يتميز الوجود الفينيقي بسواحل المغرب القديم بالغموض بسبب ندرة النصوص التاريخية حول النشاط الفينيقي بالمنطقة، فبالأحرى الحديث عن تأسيس مدن ومراكز فينيقية. ينضاف إلى ذاك ضآلة ما بحوزتنا من المعطيات الأثرية الدقيقة التي يمكن أن تبرهن بأدلة ملموسة على تأسيس مدن فينيقية بالمنطقة. ورغم ذلك حاولت الأبحاث الأثرية و الدراسات التاريخية إثبات وجود مرحلة فينيقية بأهم مواقع المغرب القديم من منطلق اعتقادهم ببداهة وصول الفينيقيين إلى المنطقة، وتأسيس المدن، وتوطين ساكنة فينيقية بها. فقد أشار الإغريق واللاتينيين في إشارات غامضة إلى تأسيس المدن الفينيقية بسواحل المغرب القديم(STRABON, Géographie, XVII, 3, 2-3)، وذلك بالرغم من أن الكتاب القدامى أنفسهم قد شككوا في وجود مدن فينيقية بسواحل المغرب القديم.

فقد انتقد أرتميدور إيراتوسطين، وهو مصدر رواية سترابون حول المدن الفينيقية بالمنطقة، لحديثه عن وجود مئات المدن الفينيقية بساحل الأمبوريات جنوب ليكسوس ما دام لم يوجد أثر ولو لواحدة من تلك المدن المزعومة.

علما بأن سترابون نفسه كان يدرك بأن ما كتبه القدامى حول الساحل الأطلنتي للمغرب هو محض خرافات من نسج الخيال(STRABON, Géographie, XVII, 3,3 et 3, 8).

أما من ناحية إفادات المعطيات الأثرية، فلا شك أن الأبحاث الأثرية بالمواقع المغربية قد تأثرت بنتائج أولى الحفريات التي باشرها الفرنسيون والتي ظلت محكومة على غرار الحفريات التي أنجزها الأوروبيين بشمال إفريقيا بمحاولة تأكيد صحة الروايات الأدبية بالرغم من أن معرفة هؤلاء بآثار الفينيقيين بمهد حضارتهم بالساحل اللبناني لا زالت ضعيفة. ومن هذا المنظور أصبح الوجود الفينيقي بالمنطقة معطى أكيدا يجب إثباته بحيث أصبح هناك إطار نظري يتلخص في وجود مرحلة فينيقية في كل موقع مغربي وهي المرحلة الأقدم تتلوها مباشرة مرحلة قرطاجية ثم رومانية و هكذا.

من يميل لتصديق روايات الكتاب الإغريق واللاتينيين، ينطلق نحو تأكيد وجود مدن فينيقية قديمة، بينما ينزع من يتسلح بالصرامة النقدية إلى الحديث عن مدن فينيقية محتملة واشتراط تأكيد تأسيس المدن الواردة في المصادر بمعطيات أثرية كافية.

وفي هذا الإطار، تُطرح آفاق أخرى للبحث في موضوع بداية العصر التاريخي بالمنطقة عبر توسيع زاوية المقاربة لتشمل معطيات مجموع مناطق شمال إفريقيا وهوامشها الصحراوية بل وحتى الصحراء الكبرى باعتبار أن ذلك المجال الشاسع يتسم بنوع من التقارب الحضاري الأكيد. ففي ذلك المجال تتوفر بقايا رموز وأشكال بدائية لكتابة محلية في طور اختزال عدد الرموز، وهي الرموز الكتابية التي أرخها البعض(الباحثة الجزائرية مليكة حشيد) بما بين 1500 و1300 ق.م، وهذا معطى أثري يفيد بوجود أشكال من الكتابة المحلية المستقلة قبل فترة من مجيئ الفينيقيين، ويطرح احتمال بداية العصر التاريخي بمنطقة شمال إفريقيا والصحراء، ومن بينها المغرب القديم، خلال فترة سابقة، أو على الأقل مزامنة لقدوم الفينيقيين إلى المناطق الساحلية من شمال إفريقيا القديم. ينضاف إلى ذلك معطى آخر يتعلق بقدم العلاقات بين سكان شمال إفريقيا القديم والمصريين الذين كانوا يستعملون الكتابة منذ فترات سابقة على مرحلة الانتشار الفينيقي بالسواحل الشمال إفريقية.

تطرح هذه المعطيات فرضية أخرى مفادها أن الفينيقيين قد اتصلوا ربما بساكنة تعرف، ولو في حدود بدائية أقل اكتمالا مما توصل إليه الفينيقيون بالساحل اللبناني، استعمال رموز وعلامات وأشكال كتابية، وبالتالي يكون من المفيد عدم ربط العصر التاريخي بالمغرب القديم وشمال إفريقيا عموما بتأثير استعمال الأبجدية الفينيقية في المنطقة بشكل يقيني ومُبرم وحاسم. فما دمنا في حيز

التخمين ولا نملك معطيات حاسمة، فلما لا نفترض أن دخول المنطقة للعصر التاريخي لم يرتبط بالضرورة بعامل خارجي.

هذه فرضية تُطرح جنبا إلى جنب مع فرضيات أخرى، بالنظر إلى هشاشة المعطيات المرتبطة بالموضوع في شموليتها، وبالتالي لا نجد من داع لسحبها من المقاربة التاريخية التي تطرق إشكالية بداية العصر التاريخي بالمغرب القديم.

إن ترسيم قطائع وأحكام تاريخية جاسمة في حول هذه الفترة الموغلة من تاريخنا والمتسمة بندرة الإشارات في المصادر القديمة وضعف الأبحاث الأثرية، وتحويل روايات وأقوال القدامى، التي ربما تكون عبارة عن مرويات ملفوفة بطابع الأسطرة والغموض وتحمل الكثير من الأخطاء دون تعريضها للمقاربة النقدية التحليلية الصارمة، إلى مرتبة المعطى التاريخي الأكيد قد يكون أمرا معرقلا للبحث في هذه الإشكالية أكثر منه مفيدا له. وهذا الوضع الهش للمصادر ولإفادات الآثار على حد سواء يفرض على معشر الباحثين التأني والحزم المنهجي وعدم الاستكانة للميولات الموجهة التي رسمت لحد الآن بديهيات ومسلمات تتماهى مع الروايات الأدبية الغامضة بفعل تأثير ما كتبه المؤرخون الأجانب في الموضوع أكثر ما تنتصر للبحث العلمي الرصين والمحايد.

إن تحويل مجرد ترجيحات مبنية على ما ذكره الكتاب الإغريق والرومان دون تمحيص محايد، وتحويل ذلك إلى متاريس يصطف حولها فريق من الباحثين مقابل فريق آخر لا يرى فيما جاء في المصادر حقائق ويقينيات تاريخية، وتعنت كل فريق وتمسكه بما لديه. كل ذلك يجعل تاريخ المغرب القديم ضحية لهذا التنازع، ويعطي صورة سلبية عما يقدمه كل طرف، ويؤثر على علمية الأبحاث، ويجعلها موجهة من البداية لخدمة جهة معينة.

وفي الختام، حسبنا أن نستنتج في استحضار تام للمحاذير التي أشرنا إليها أعلاه، وبعيدا عن ادعاء الحسم في الموضوع، بأن بداية الفترة التاريخية في المغرب القديم تبقى غامضة. على أن غموض المسألة وقلة المصادر والوثائق، والرغبة في تقديم إضافة في الموضوع لا ينبغي أن تقودنا إلى التعسف والاستعجال في إيجاد إجابات متسرعة لقضية جد شائكة في تاريخنا القديم. وحسبنا أن نُرجح بكل حذر ونسبية أن الترتيب المنطقي للمعطيات الأثرية والقراءة النقدية للمصادر يدفع إلى الاستخلاص بأن دخول المغرب القديم إلى العصر التاريخي قد تم بفعل عوامل محلية، وأن ذلك قد تزامن مع الانتشار الفينيقي بالمنطقة.

مراجع المقال:

- محمد الصغير غانم، التوسع الفينيقي في غرب البحر المتوسط، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزي، بيروت، الطبعة 1، 1989.
- ستيفان كسيل، تاريخ شمال إفريقيا القديم، الجزء الخامس، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، الرباط 2007.
- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة، مؤسسة تاوالت الثقافية، 2011.
- بن السعدي سليمان، علاقات مصر بالمغرب القديم منذ فجر التاريخ حتى القرن السابع قبل الميلاد، أطروحة لنيل الدكتوراه في التاريخ القديم، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2008-2009.

ظاهرت انكماش القيادات الإنسانية من المجتمع ادى الى انتكاسة ادارية وانتاجية

د. علي عبدالراضي

يعانى مجتمع مابعد الحداثه من غياب وفقدان للقيادات الإنسانية وهذا يجعل القارئ يتسأل ماهو المقصود بالقيادات الإنسانية ؟

القيادات الإنسانية هي كل فرد مسئول يمارس اعمال اتخاذ القرار والتخطيط والتقييم والمتابعة والتنفيذ بشكل ماهر على اسس المسئولية الاجتماعية والمشاركة بشكل سليم ،،

وذلك النوع من القيادات نفتقدة في مجتمع ما بعد الحداثة ويرجع ذلك لظاهرة انكماش في العينة التي يتم الاختيار منها ؛ وعلي الاجهزة المعنيه بالاختيار مراعات عامل هام جدا في الحصول على القيادات هو اعداد القيادات بشكل علمي مهني قائم على اسس العلوم الإنسانية من علم النفس وعلم الاجتماع و الادارة وعلى ان يشتمل برنامج الاعداد على غرس قيم المواطنة المستدامة وان المصلحة العامة تعني مصلحتك انت وما تقدمة للمجتمع يرجع الى اقرب الناس اليك بالشكل المعنوي البعيد وليس بالشكل المادى ، لذالك عند نضوب القيادات تكون الخيارات محدوده امام الاجهزة الرقابية في الترشيح والاختيار وهنا نقول لهم ((قبل ان تحصد عليك ان تزرع وترعى هذا الزرع)).

سجل المجتمع في الأونه الاخيره اكبر معدل من التدهور الاداري وفقدان الرغبة في الانتاج ودخول المجتمع فى حالة من الانتكاسة الادارية والانتاجية وهى اعلى هزيمة مسجلة فى حجم الانتاج العام للمجتمع على كافة المستويات التعليمى والصحي والاجتماعي والرياضي كذلك مستوى الرضا النفسي والرضا الوظيفى وجودة الحياة ترجع في جميع المؤشرات حتى الخروج من النكسة كاخطة واضحه لم نتمكن من وجودها.

سيكولوجيات الفساد الاداري وتأثيره في القيادة لقد اعتادو وادمنو السلوك الانحرافي واستجابت له الخليه الدماغية وذلك نتج خلل بعد فتره من ممارسة الفساد من قبول رشوة او تسيب واهمال وظيفى ومحسوبية ....الخ يعتاد السلوك الى مثل هذه الممارسات وليس ذلك وحسب انما يبرر لفعالها وان الاخطأ ليست من عنده انما الخطأ على الدولة نعم الخطأ على الدولة فى عدم اعتمادها على وضع حد اقصى للفساد نعم على الدولة ان تعتمد خطة واضحة للفساد حتى يكون

هناك معيارية له حتى يسهل قياس الفساد ونستطيع ان نتعامل معه ونتغلب عليه مثل الاورام تقاس حتى يسهل معلجتها.

ينبغى ان تركز الاجهزه المعنيه في الاهتمام بوجود قيادات معدة على اسس العلوم الانسانية وليس الاقتصادية والعسكرية والقانونية فقط وذلك لانها اثبتت فشلها في القيادة والادارة وعليهم ان يعتمدوا برنامج اعداد قيادة معدل بشكل يسهل على المجتمع ان يحصل عليه وليس خاص بفئة معينة وينبغى ان يكون هناك تحديث في قاعدة البيانات لتكشف افراد خارج الصندوق وخارج الكدر الجامعي الذي اثبت فشلة في الجامعة وبدل ان يحاسب على فشله تكافئه الدوله بتولية وزارة .